الإسلام اليوم

مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
- إيسيسكو -
بالعربية والإنجليزية والفرنسية

المدير المسؤول :
الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

رئيس هيئة التحرير :
عبد القادر الإدريسي

عوامل الإرهاب وآليات التصدّي له

الشيخ محمد عليّ التسخيري (*)

أولاً : معنى الإرهاب :

وهو كل عمل عدواني يَتَنَافَى من حيث الوسيلة أو الهدف ، مع القيم الدينية والطبيعية والقوانين الإنسانية العامة ، ويتضمن تهديداً للأمن بأي نوع من أنواعه .

وللتوضيح نذكر النقاط التالية :

1 . إننا نستعمل المصطلح البشري بدلاً من الدولي لكي نحقق الإجماع الرسمي وغيره للتأكد من الحكم الإنساني العام .

2 . لاحظنا عنصرَيْ الوسيلة والهدف .

3 . أشرنا إلى أنواع الإرهاب بعبارة : (الأمن بأي نوع من أنواعه) .

4 . اعتماد المعيارين الديني والبشري معاً لكي ننسجم مع إيماننا أولاً ، ونعمم المقياس بشرياً ثانياً .

5 . وكما يلاحظ ، فإن كون العملية عنيفةً لا يعدُّ شرطاً في صدق صفة الإرهاب .

6 . وتعدّ الصفة العدوانية هي محور التعريف ، لأنها أساس الإدانة .

وعلى ضوء هذا التعريف ، يمكننا أن نتحقق من الصفات الإرهابية التي تطلق على هذا العمل أو ذاك ، ونتأكد من أن هذه الصفة لا تنطبق على :

أ) أعمال المقاومة الوطنية التي تمارس ضد المحتلين والمستعمرين والغاصبين لا غير .

ب) مقاومة الشعوب للفئات المفروضة عليها بقوة الحديد والنار .

ج) رفض الدكتاتوريات وأنماط الاستبداد .

د) مقاومة الأفكار اللا إنسانية كالنازية والتمييز العنصري .

هـ) الرد بالمثل على أي اعتداء إذا لم يكن هناك مناص من ذلك .

و) الجهاد المشروع بضوابطه الأخلاقية وأهدافه الإنسانية التي بيَّنها علماؤنا .

(*) الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، طهران ــ الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

وكذلك لا تنطبق على كل تحرك سلمي لا يصاحبه إرهاب حتى ولو لم يكن يحمل هدفاً إنسانياً .

كما أنه لا ينطبق على الأعمال المخربة الفردية التي لا تمتلك تأثيراً اجتماعياً .

وهذه الأعمال وأمثالها ، وإن كانت مدانة من جهة أخرى ، إلاَّ أنها بالتأكيد ليست أعمالاً إرهابية .

هذا في حين ينطبق التعريف على :

أ) أعمال القرصنة الجوية والبحرية والبرية .

ب) كل العمليات الاستعمارية بما فيها الحروب والحملات العسكرية .

ج) كل الأعمال الدكتاتورية ضد الشعوب ، وكل أنماط الحماية للدكتاتوريات فضلاً عن فرضها على الأمم .

د) كل الأساليب العسكرية المخالفة للأعراف الإنسانية : كاستعمال الأسلحة الكيماوية والنووية والبيولوجية ، وضرب المناطق الآهلة بالسكان ، ونسف البيوت ، وترحيل المدنيين ، وأمثال ذلك .

هـ) كل تلويث للبيئة الجغرافية ، والثقافية والإعلامية ، وربما كان الإرهاب الفكري من أخطر أنواع الإرهاب .

و) كل تحرك يؤدي إلى ضعضعة الاقتصاد الدولي أو الوطني ، والإضرار بحال الفقراء والمحرومين ، وتعميق الفوارق الاجتماعية والاقتصادية ، وتكبيل الشعوب بأغلال الديون الباهظة .

ز) كل تحرك تآمري يعمل على سحق إرادة الشعوب في التحرر والاستقلال ، وفرض الأحلاف الشائنة عليها .

وهكذا يمكننا أن نتابع ضرب الأمثلة على صدق التعريف المذكور .

ثانياً : بالرغم من أن كثيراً من الاجتماعات والمحاولات قد عقدت لمكافحة الإرهاب إلاَّ أنها أخفقت في الغالب :

لأنها لم تقم على أساس إنساني ، دولي ، بل استهدفت تحقيق المصالح الضيقة قبل كل شيء . ولأنها لم تعالج الظروف التي تخلق الإرهاب ، ولم تبحث عن علله الحقيقية .

وواضح أن محاربة المعلول وترك العلة ليس عملاً معقولاً .

ثالثاً : ثم إن الحرب على هذه الظاهرة الخطيرة بدأت فاشلة ، لأنها انطلقت تحت قيادة لها تاريخ أسود مقرون بالإرهاب وقهر الشعوب وسحق إرادتها بشتّى

الأساليب ومنها الحرب المعلنة ، وقد قادت خلال الفترة الأخيرة من عمر البشرية ، عشرات الحروب بل المئات منها لبسط سلطتها ومفاهيمها .

ثم إن هذه القيادة لم تتقيد في كثير من تصرفاتها بالقانون الدولي معتمدة مقولات متنافية أساساً معه كمقولة (التفوق على الجميع) و (الحرب الاستباقية) وأمثالها .

وبعد هذا ، فإنها نصبت من نفسها مدعياً وقاضياً وشرطياً منفذاً في آن واحد ، وهو ما يخالف أبسط قوانين العدالة ويبطل أي تشدق بالعمل بها .

رابعاً : وقد أخطأت هذه القيادة ، إذ ركزت على الإسلام واعتبرته عدواً وهمياً ، وأقامت استراتيجيتها على محاربته ، ووضعت خطة واسعة نشير فيما يلي إلى بعض جوانبها :

1 . التشكيك في قيم الحضارة الإسلامية ومفاهيمها . وهناك الكثير من الأمثلة التي طالعنا الغرب بها ، كتفضيل الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية من قبل مسؤول إيطالي ، وتفضيل العقيدة المسيحية في الصفات الإلهية على العقيدة الإسلامية ، والحملة ضد مفاهيم الجهاد ، وتصورات الإسلام لحقوق المرأة وغيرها .

2 . تعميق الحقد الغربي والعداء للإسلام وكل ما هو إسلامي ومهاجمة المساجد والمراكز الإسلامية والتضييق ضد الأقليات المسلمة وتوجيه أصابع الاتهام حتى للدول التي كانت تعتبرها صديقة لها ، وبالتالي العمل على منع الهجرة حتى القانونية رغم حاجة أوربا للهجرة .

3 . مهاجمة بعض الشعوب الإسلامية بشراسة بتهمة إيوائها للإرهابيين ، وهذا ما حدث لأفغانستان الجريحة والعراق الجريح ، ومازالت بعض الشعوب الإسلامية مهددة .

4 . الحكم على بعض الدول الإسلامية بأنها محور الشر ، وما زال الخطر يتهدّدها في كل آن ، كما أن بعض الجهات شبه الرسمية ، هددت باستخدام القنابل الذرية ضد بعض الدول .

5 . تمَّ التخطيط لحملة إعلامية وبوليسية ضخمة لضرب المؤسسات المالية الإسلامية والمؤسسات الخيرية الدعوية ، وتم الضغط على الدول لتغلق هذه المؤسسات .

6 . كما تم التخطيط لضرب المؤسسات التعليمية الإسلامية وإفقادها استقلالها ، كما تدخل الغرب بوقاحة لدى الدول الإسلامية لتقوم بتغيير مناهجها التعليمية وفق ما يرتئيه الغرب من تصوُّر .

7 . وهناك خطوات نلحظها لتهميش دور المؤسسات الإسلامية الدولية .

8 . تصعيد الحملة التي بدأها الغرب بنفسه أو من خلال عملائه ، قبل الأحداث في مجال نشر المفاسد الأخلاقية والخلاعة والتحلل ، والاستهانة بالمقدسات ، وإضعاف اللغة العربية ، وترويج العامية ، ومحاربة الحرف العربي (كما في آسيا الوسطى) ، وإشاعة العلمانية ، وتعميق الخلافات بين الدول الإسلامية ومحاربة عنصر (الاجتهاد) ، والتشكيك في صلاحية الإسلام لهذا العصر وضرورة الاتجاه نحو تطبيق قيم الحضارة الغربية ، وغير ذلك كثير .

9 . وأهم الجوانب محاولة إغلاق الملفات المزعجة لهم وبأي وسيلة منكرة وفي طليعتها قضية فلسطين ، فقد أعطت أمريكا الضوء الأخضر لشارون ليقوم بتصفيتها واستفاد هذا من ظروف الرعب وجعل عمليته ضد الفلسطينيين جزءاً من المرحلة الثانية للحرب ضد الإرهاب . وقام بما يندى له جبين الإنسانية ، وساعدته أمريكا بكل وقاحة وصراحة ، ونسي الغرب كل تاريخه في تجميد المقاومة ضدّ الفاشية والنازية وكل شعاراته في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والشرعية الدولية . وحتى جنايات العدو الصهيوني في مخيم جنين لم تستطع الأمم المتحدة رغم صدور قرار بذلك أن تحقق فيها وهي في الأصل واضحة للعيان وموثقة ومشهود لها من قبل شخصيات دولية .

خامساً : وربما كان من نافلة القول بعد هذا أن نتحدث عن دور الإسلام في تحقيق الأمن للإنسان بشتى أنواعه بعد أن عرفنا رفضه لكل الأساليب الطاغوتية الفرعونية جملة وتفصيلاً .

فهو يعمل على توفير الأمن الأخلاقي والتربوي ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم**﴾[1] . وهو ينفي كل ما يلوث الجو الإنساني الخلقي عبر تحريمه المفاسد الخلقية التي تُميت إنسانية الإنسان .

كما يعمل على توفير الأمن الاجتماعي من خلال إقامة البناء العائلي ونفي كل ما يوجه الغرائز نحو التحلل أو الإشباع الخاطئ ، ومن خلال تقديمه نظاماً للعلاقات الاجتماعية المتعالية . ونفيه كل ما يمزق الأمة من مقاييس مادية ، كاللون واللغة والعنصر والقبيلة والجغرافيا وغيرها ، وكذلك من خلال ضمانه لكل حقوق الإنسان في الوجود والكرامة والحرية والضمان الاجتماعي والاقتصادي ، ورفضه كل عوامل التهديم كالبخل والغصب وأكل المال بالباطل وتمركز الثروة والإسراف والتبذير والحرابة والبغي والقتل وغيرها . وكلها تتعاون لتحقيق الهدف ، كما يعمل على ضمان المشاركة الشعبية السياسية من خلال مبدأ الشورى ومبدأ الولاية المتبادلة وتعميم المسؤولية ، ولا نريد أن نستمر في هذا العرض ، لأن الأمر واضح صريح .

(1) سورة الجمعة ، الآية 2 .

إنَّ الإسلام يعمل على المستوى الحضاري لتحقيق الأمن والسلام العادل للبشرية منطلقاً من مبادئه الإنسانية ، وحتى لو اضطر للحرب ، فإنه يشنها حرباً نظيفة لا رد فيها إلاَّ على المعتدي ، أما الأبرياء فلا ينالهم شيء ، بل وحتى الطبيعة تبقى آمنة سليمة .

يوصي الرسول ﷺ وعلى آله وصحبه ، أصحابه ، فيقول «سيروا باسم اللَّه وباللَّه وفي سبيل اللَّه ، وعلى ملة رسول اللَّه ، لا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا صبياً ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها»[2] .

إنَّ الأمن البيئي والطبيعي والحيواني مضمون إسلامياً ، وإن قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) قاعدة عامة تمنع الإضرار بالبيئة بلا ريب ، لأنه إضرار بكل البشرية ، وإن الإسلام يجعل الطبيعة مسخرة للإنسان نفسه ، عليه أن يشكر نعمتها ولا يكفر بها ، ﴿**وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة اللَّه لا تحصوها إن الإنسان لَظلوم كفار**﴾[3] .

وحتى علاقات الحب والعواطف قد تقوم بين المسلم والطبيعة ، فيمر الرسول الكريم ﷺ على جبل أحد ، فيقول : (هذا جبل يحبنا ونحبه)[4] . ويبقى الوعد الإلهي قائماً في خلد المسلم هادفاً يسعى إليه حثيثاً ، إذ يقول تعالى : ﴿**وعد اللَّه الذين آمنوا منكُمْ وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكِّنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدِّلَنَّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾[5] .

إنه المجتمع الخليفة الآمن العابد ، الآمن من العدو الخارجي والداخلي ، وإنه هدف الأنبياء وقد تحقق : عبادة وأمنٌ من الطاغوت .

والحقيقة أننا إذا فسرنا الإرهاب بالمنطق الإنساني العام بأنه (كل عمل لا ينسجم مع الوجدان الإنساني من حيث الوسيلة أو الهدف ويهدّد الأمن بشتّى أنواعه) ، فسنجد أن الإسلام يقف بقوة ضده ، بل ويعمل على اجتثاث جذوره .

سادساً : من الطبيعي أن نقول هنا إننا لا نستطيع أن نقضي على المعلول مع الإبقاء على العلل .

إنَّ معظم ما نشاهده من مظاهر الإرهاب يعود إلى عوامل كثيرة . منها :

---

(2) **كنز العمال** ، ج 4 ، ص 333 ، **والكافي** ، ج 5 ، ص 27 ، وغيرها .
(3) سورة إبراهيم ، الآية 34 .
(4) رواه مسلم بصيغة (إن أُحداً جبل يحبنا ونحبه) .
(5) سورة النور ، الآية 55 .

أ) انتشار الجهل والحقد واليأس وروح التعصب الأعمى والنظرة الظلامية للآخرين ، والتغاضي عن الجوانب الإيجابية . وهذا يشمل ظواهر (الإسلاموفوبيا) من جهة و(العداء الأعمى لكل ما هو غربي) من جهة أخرى .

ب) انتشار الفقر والجوع والحرمان ، وكاد الفقر أن يكون كفراً .

ج) انتشار الظلم والاستعمار ونهب إمكانات الشعوب والاستبداد والقهر والعنف وسلب حقوق الإنسان ومصادرة حرياته المشروعة ، وعدم فسح المجال الطبيعي للتعبير ، ممّا يؤدّي بالتالي للكبت والانفجار .

د) فقدان الوازع المعنوي وتَدَنّي المستويات القيمة وانتشار الروح الحيوانية العمياء . ولهذا نجد الإرهابيين يفقدون أدنى المستويات العاطفية . ومن هنا نقول : إن الإرهاب لا دين له ، لأن الدين يشدد قبل كل شيء على الرحمة .

هـ) انتشار الأفكار المعادية للإنسانية كالنازية والفاشية والصهيونية والعنصرية والاستعلائية والتكفير وأمثالها .

فما لم توضع الخطط العالمية المخلصة للقضاء على هذه العلل أو التخفيف من وطأتها ، فإنها سوف تظل تزرع الإرهاب .

والأنكى من كلّ هذا ، أن نجد الدول العظمى التي ارتبط تاريخها بالحروب والدمار والإرهاب ، على رأس قائمة محاربته وهي حتى في حربها المفروضة ضد الإرهاب ، ترتكب أبشع أنواع الإرهاب ، وتدعم نظماً إرهابية فاشية مثل النظام الصهيوني الإرهابي بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

سابعاً : وقد دعونا في لقاءات مشابهة إلى عملٍ على المستويين العالمي والإسلامي ، وهو :

الموقف المقترح على الصعيد الدولي :

وكخطوة استراتيجية من أجل ردع الإرهاب بكل أشكاله ومضامينه ومصادره ، نرى ضرورة قيام منظمة الأمم المتحدة بالتصدي لهذا المشروع وتبنيه ، شريطة إحداث آليات جديدة تحول دون قيام الدول الكبرى بتوجيه المشروع في اتجاه مصالحها الخاصة ، وممارسة الضغوطات على المنظمة لتسيير طوع أهدافها الاستكبارية . ومن هنا يمكن لمنظمة الأمم المتحدة أن تكون مرجعاً عالمياً للحملة الشاملة ضد الإرهاب وفرض السلام العادل في الأرض . ونرى أن مقدمات هذه الحملة تتمثل في :

1 . المساواة في الحقوق والواجبات بين الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة ، ومنع هيمنة دولة أو أكثر على قراراتها ، ولاسيما ما يرتبط بالآليات غير العادلة التي يضع مجلس الأمن الدولي قراراته من خلالها . فهذه الآلية تسببت مثلاً في استمرار الإرهاب في أكثر من بقعة من بقاع العالم ، ولاسيما في فلسطين ، إذ استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية حق الفيتو عشرات المرات لمنع إصدار قرار من مجلس الأمن الدولي يكبح جماح الإرهاب الصهيوني .

2 . رفع الظلم عن الشعب الفلسطيني والشعوب المجاورة لفلسطين ، والتي تتعرض للانتهاكات والإرهاب من قبل الكيان الصهيوني .

3 . آلية دولية تمنع دعم الدول الكبرى للأنظمة والكيانات الدكتاتورية والعنصرية ، وكذلك المنظمات والجماعات الإرهابية .

4 . محاربة الفقر والجهل والتعصب الأعمى والمرض وكل مظاهر التخلف ، وكذلك أمراض المدنية الحديثة ، ووسائل الإعلام والفن التي تشجع على العنف والعنصرية وتضعف المعنويات والقيم الأخلاقية على مستوى العالم أجمع ، لأنها تمثل الأرضية الطبيعية التي تترعرع فيها النزعات الإرهابية .

ويتم العمل بدلاً من ذلك ، على :

أ) تعميم منطق الحوار بين الحضارات والأديان .

ب) تشجيع الديمقراطية المنسجمة مع القيم .

ج) المساعدة على تنفيذ برامج التنمية في العالم .

د) تقوية المنظمات الدولية وحذف عناصر الهيمنة فيها .

هـ) الارتفاع بالمستوى المعنوي والقيم الأخلاقية وتعميق دور الدين في ذلك ، واحترام الأدوار العائلية في عملية البناء الاجتماعي .

و) توجيه الثورة المعلوماتية لخدمة البشرية .

ز) أَنْسَنَة الفن واستخدامه لصالح الأهداف العليا ، وغير ذلك .

5 . الحيلولة ــ بكل الوسائل ــ دون استغلال الدول الغربية الكبرى للأحداث وتحويلها إلى صراع حضارات وحرب بين الأديان وتصفية حسابات مع بعض الأنظمة ، على حساب الشعوب .

6 . تخفيف معاناة شعبَيْ أفغانستان والعراق ، ودعمهما بالغذاء والكساء والملجأ والدواء وغيرها من وسائل العيش ، والعمل على تحقيق الانسحاب التام للقوات الأمريكية وغيرها وعودة الحكم إلى أهله في البلدين .

7 . استمرار الحوار بين عقلاء البشرية من أتباع الأديان والحضارات والمذاهب ، وتكثيفه وتعميقه ، بهدف خلق رأي عام عالمي يمارس دوره في نشر العدالة والسلام والمحبة بين جميع شعوب العالم .

ولا شك أن السلام الذي ننشده وتنشده البشرية ، هو السلام العادل الذي تتكافأ فيه الفرص ، ويُعطى كل ذي حق حقَّه ، وينصف فيه المظلوم ، ويعاقب المعتدي ، إذ أن السلام العادل هو فقط الكفيل باقتلاع جذور العنف والإرهاب ، أما السلام المفروض وغير العادل ، فهو تسطيح للمشكلة وإبقاء عليها ناراً تحت الرماد ؛ لأن المجرم يتساوى فيه مع الضحية ، وتضيع جراءه الحقوق ، وتكون سياسة الأمر الواقع هي الحكم . وبالتالي ستعود أعمال العنف كما كانت وربما بكثافة أكبر . وهذا ما يجعل السلام غير العادل سبباً في استمرار المشاكل وبؤر التوتر ، وهو ما نشهده في أكثر من بقعة من بقاع العالم .

ثامناً : وأخيراً فإننا نستطيع الاستعانة بالحوار البناء ، وأن نستفيد من حوار الأديان أولاً والحوار بين الإسلام والغرب ثانياً ، لتصحيح الصورة لدى الآخر .

فهناك تلاقٍ كبيرٌ بين الأديان الإبراهيمية في مجالات كثيرة ، منها :

● التركيز على عبادة اللَّه ومحاربة الظلم والطغيان . . . كما يقول مؤلف كتاب "**دفاعاً عن مقولة الحضارة الإسلامية المسيحية**" ، طارحاً هذه المقولة في مقابل مقولة "صدام الحضارات" مركزاً على المساهمات المشتركة بين الحضارتين في المسيرة البشرية العامة ، موضحاً أن الفارق الزمني بين بدئهما ، والنزاعات المستمرة بينهما ، لا يشكلان مانعاً من تلاحمهما الحضاري ، وحتى فارق التطوّر المادي بينهما ما بين (1600 - 1900) ، يتعادل بتقدم العالم الإسلامي بشرياً بنسبة 50 بالمائة ، في مقابل 20 بالمائة ، ليخلص إلى النتيجة التالية ، فيقول :

«أما إذا نظرنا إليهما كوحدة واحدة ومن ضمن إطار تاريخي ، فإن العالم الإسلامي المسيحي لديه ما يجمعه أكثر مما يفرقه . فماضي الغرب ومستقبله لا يمكن فهمهما بشكل كامل دون تقدير العلاقة ا لتوأمية التي تربطه بالإسلام طوال أربعة عشر قرناً . والملاحظة نفسها تنطبق على العالم الإسلامي . إن مسألة الحضارة الإسلامية المسيحية كمبدأ تنظيمي هو بالنسبة إلى الفكر المعاصر ، مسألة متجذرة في الحقيقة التاريخية على مر هذه القرون . وقد يتمنى الواحد منا أن يرى مؤرخو الحضارة الغربية وحضارة الإسلام قيمة تعديل نظراتهم كي يأخذوا هذه الحقيقة بالحسبان . إن الحضارة الإسلامية المسيحية هي مفهوم نحتاجه بشدة إذا كنا سنحول يوماً تراجيدياً مشهوداً إلى لحظة تاريخية للاستيعاب والتكامل الاجتماعي والديني»[6] .

(6) ريتشارد بوليت (Richard Bulliet) ، "**دفاعاً عن مقولة الحضارة الإسلامية المسيحية**" ، ترجمة محمود حداد ، ط 1 ، دار النهار ، بيروت ، 2005م .

ويقول عنه الأستاذ محمود حداد مترجمه ما يلي :

«ولم يتفق الجميع مع أطروحة هانتيغتن (Huntington) بل خرج كثير من المثقفين عن هذا الخط الفكري ، معلنين ضرورة حوار الديانات والحضارات ، وضرورة التعايش لا التقاتل فيما بينها . إلاَّ أن الكتاب يقول إنَّ الإسلام والمسيحية شكَّلا حضارة واحدة من الناحية الاجتماعية»[7] .

والكتاب رغم بعض النقاط التي نخالفه فيها ، جدير بالمطالعة .

أما الحوار مع الغرب ، فهو أمر مفيد جداً .

إنني أومن بالحوار مع الآخر ، لأنه منطق إنساني سليم ، ومن هذا المنطلق أعتقد أن على المسلمين التحاور مع حملة الفكر الغربي لحل العقدة المستعصية والتي هي في كثير من الأحيان تشكل الأرضية الصالحة للإرهاب .

وقد نادى بمثل هذا النداء كتاب ومفكرون كثيرون . وعلى سبيل المثال يتساءل الأستاذ (احميدة المامون النيفر) . قائلاً : «هل من سبيل إلى تجاوز الطوق الآسر الذي يختزل المكونات الخاصة في كتلة من التصورات تعتبر دائرة الإنتاج ، بينما ينظر إلى الدوائر الأخرى على أنها هوامش ومجالات تلقٍ؟ . نعم إن المشكلة تكمن في تصور هامشية الآخر ومركزية الذات» .

والحقيقة أن للتراكمات التاريخية أثرها الكبير في نوعية العلاقة بين المسلمين والغرب .

فلقد تبلورت نظرة الغرب إلى الإسلام عبر مراحل زمنية طويلة ، تعددت فيها رؤى المستشرقين والمفكرين والباحثين والسياسيين الغربيين ، تبعاً للخلفيات والمداخل المنهجية والدينية والفكرية والسياسية لكل رؤية . وعلى الرغم من تعدد هذه الرؤى ، إلا أنها تتفق غالباً ، على جملة من المبادئ التي تشكلت وتكاملت بالتدريج ، حتى باتت تمثل وعي الغرب بالآخر . وهو جزء من وعي الغرب بذاته . وفي إطار هذا الوعي منح الغرب لنفسه موقع (الحقيقة) و(القوة) و(المركز) و(العقل) و(التقدم) ، وأبقى للآخر موقع (التمثيل) و(الضعف) و(الأطراف) و(الجنون) و(التخلف) . وبالتالي مارس الغرب هذا المنهج في الواقع بأشكال مختلفة كالغزو العسكري والسيطرة الاقتصادية والهيمنة الثقافية والسياسية والحرب النفسية والإعلامية .

ومن الرؤى المهمة التي طرحت في الغرب ، في عقد التسيعنيات ، رؤية المفكر الإنجليزي (بيدهام برايان) التي عرضها في سلسلة المقالات التي نشرها في مجلة (الايكونوميست) ، خلال عام 1994 ، ولكنها لم تحظ بالاِهتمام الذي حظيت به رؤيتا هانتينغتن في "**صدام**

(7) المرجع السابق .

الحضارات" وفوكوياما (Fukuyama) في "**نهاية التاريخ**" على الرغم مما تحتويه من نظرات لافتة إلى علاقة الغرب بالإسلام ؛ وهي رؤية تكشف ، في حقيقتها ، عن نوع من الاستراتيجية الغربية تجاه التعامل مع العالم الإسلامي وأوضاعه العامة ، ولاسيما ما يرتبط بمضامين الحضور الإسلامي الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية .

في مقابل ذلك تبلورت النظرة الإسلامية للغرب على ضوء تراكمات معرفية وتاريخية دفعت البعض إلى تصوّر استحالة التلاقي بينهما لعدم وجود مجالات مشتركة .

إننا نعتقد ـ خلافاً لبعض النظرات التي نرى فيها شيئاً من التطرف ـ أن هناك مجالات كثيرة للالتقاء وتوحيد الموقف ، خصوصاً مع وجود طبقة منصفة تتأثر بالموقف المنطقي وتتعامل معه بإنسانية . وأمامنا الكثير الكثير من الأفكار المبدئية التي نشهدها في العالم الغربي ، وهي مستعدة حتى للتضحية في مجال تأييدها لقضايانا العربية الإسلامية .

فلندخل بهذه الروح وهذا الأمل في مجال عرض أهم القضايا ، على النحو التالي :

الأولى : النظرة العدائية والروح الصليبية والعنف.

فعادة ما يخيم الحقد على هذه العلاقة من الجانبين معاً ، نتيجة التماس التاريخ والصراع المستمر على مدى قرون ، وقد اختلط ذلك بتفسيرات دينية ومصالح قومية أخرى توسعية وعنصرية ، مما ترك في النفوس خليطاً من العدائية والريبة ، مع قدر عظيم من التعميم والتفسير بعين السخط لمختلف المواقف ، حتى لقد ترسّخت النظرة العدائية للغرب ، بقضه وقضيضه ، في نفوس المسلمين بقدر ما ترسّخت الروح الصليبية تجاه المسلمين في نفوس أبناء الغرب .

ونحن نشهد ذلك في تصريحات أعلى مستوى لدى الطرفين . وتتصاعد الوتيرة بعد الحوادث الكبيرة . وهذا ما نراه في الحملة العدائية الشعبية ضد المسلمين في الغرب مثلاً والتي تضاعفت خلال عام واحد 16 مرة بشهادة الـ (F.B.I) الأمريكية ، كما نشهده في الطرف الإسلامي الذي بدأ يرمق إلى كل ما هو غربي بشزر ، ويود لو يقضى عليه بأية وسيلة حتى ولو كانت مرفوضة إسلامياً ودولياً ، كما نجده في انفجارات جزيرة (بالي) باندونيسيا مثلاً . وهنا نطرح قضية عالقة أخرى ترتبط بهذه الروح العدائية ، وهي قضية الإرهاب والعنف .

فهي معلولة بلا ريب لتلك الروح ، وهي نار مستعرة إذا لم يتم السيطرة عليها ، فهي لا تبقي ولا تذر .

فمن جهة نجد أن الغرب يئن من جراحه في الحادي عشر من سبتمبر وغيرها ، ومن جهة أخرى يئن المسلمون من جراحهم في فلسطين وأفغانستان وغيرهما .

ومن جهة ثالثة ، ينصب الغرب نفسه مدّعياً وقاضياً ومنفذاً في هذه المسألة مع اعترافه بأن الإرهاب لم يتحدد تعريفه ولم يتم الفصل بينه وبين المقاومة المشروعة دينياً ودولياً ، بل نجده يطرح الثنائية اللامعقولة : «فإما أن تكون معنا أو فأنت إرهابي» .

تماماً كما كان الشيوعيون المتشددون يطرحون ثنائية : إما أن تكون شيوعياً أو فأنت لا تفهم الشيوعية . وحينئذ يغلق باب البحث ويفتح باب العنف .

الثانية : مسألة الحرية الطبيعية والاجتماعية.

ربما يتصور أن الغرب يركز على مسألة الحرية التي يمنحها المجتمع للإنسان ويتهم الإسلام بتحديده لها ، ولكن الحقيقة أن الغرب دأب على اتهام الإسلام برفضه للحرية الطبيعية (أي التي يمتلكها الإنسان بطبيعته الإنسانية) ، متهماً إياه بالجبرية لأنه يؤمن بالقضاء والقدر .

وكنت أحسب أن هناك سوء فهم فردياً من قبل بعض الغربيين حينما طالعت ما نقله الدكتور محمد حسين هيكل عن الكاتب الأمريكي (واشنطن ارونك ـ Washington Irving) حين ألف كتاباً عن الرسول الأكرم ﷺ بعنوان (حياة محمد) وشرح في خاتمته قواعد الإسلام الأساسية ومنها عقيدة الجبر ، فرد عليه المرحوم هيكل بشكل مناسب . ولكنني وجدت (ويل ديورانت ـ Will Durant) يؤكد سوء الفهم هذا ويجعل الاعتقاد بالجبرية من المظاهر الواضحة في الفكر الإسلامي)[8] . بل وجدت كاتباً إنجليزياً في عصرنا الحاضر هو بيدهام برايان ، يكتب عن الحضارة الإسلامية متهماً إياها بالجبرية[9] .

ولا أجدني في حاجة ولا في موضع الإجابة بعد وضوح مبدأ الاختيار الإنساني في القرآن الكريم : ﴿**إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً**﴾[10] ، ولكنها شبهة يجب أن تزال من الذهن الغربي ، وحتى المثقف منه ، وإلاَّ كان لها آثارها التحليلية الاجتماعية أيضاً .

وعلى أي حال ، فما زال الغرب يتهم الإسلام بتحديد الحريات الاجتماعية كما يتهم المسلمون الغرب نفسه بمنح الحريات الفردية المجال الواسع مما يحولها إلى حريات حيوانية مخربة ، فيجب إذن أن يجتمع الطرفان وتحدد المساحات المشتركة . وهو أمر ممكن إلى حدّ كبير .

الثالثة : مسألة العلاقة بين السلام والعدالة.

انطلقت دعوة الحوار بين الأديان على أسس منطقية سليمة ، وراحت تترك أثرها الجيد في مجال تحقيق التفاهم المنشود وتقليل مناطق الصدام ، وتوفير مجالات التعاون المستمر على صعيد

(8) **قصة الحضارة** ، ج 13 ، ص 5 .

(9) سلسلة مقالات في (**الإكونومست**) اللندنية عام 1994 .

(10) سورة الإنسان ، الآية 3 .

خدمة القضية الإنسانية والقضية الدينية والقيم المعنوية ، ونحن نرجو لها التوسّع من مرحلة التفاهم بين المتخصصين ، إلى مرحلة صيرورتها ثقافة عامة تعشقها الشعوب وتتعامل على أساس منها في مختلف قضايا التماس الحضاري ، بعيداً عن محاولات الاستغلال والتشكيك .

ومن أوليات قضية الحوار أي حوار كان ــ ضرورة الانطلاق من الاقتناعات المتفق عليها مسبقاً ، لتكون هي الأضواء الكاشفة التي تحل العقد وتفتح السبل المسدودة لعملية الحوار ، وتقضي في موارد الخلاف .

وما نتصوره أن الإيمان بالفطرة ، هو من الاقتناعات المشتركة بين جميع الأديان السماوية :

والمقصود بالفطرة هو أن الإنسان مخلوق إلهي أودعت الحكمة الإلهية في وجوده وطينته الأصلية مجموعةً من القضايا البديهية والقدرات العقلية والميول والغرائز ، التي تضمن له سيراً طبيعياً نحو تكامله المرسوم له .

وأن الأديان إنما جاءت لتثير له دفائن العقول كما يعبر الإمام علي (عليه السلام) وتهيئ الجو المناسب لبروز هذه الطاقات الكامنة على سطح حياته ، فتهديه سبيلاً إنسانياً يختلف كل الاختلاف عن السلوك الذي تسلكه الحيوانات العجماء التي تتمتع بما يتمتع به من طاقات .

أمّا القضية البديهية ، فهي التي تمنحه القدرة على المعرفة ، معرفة نفسه ومعرفة الكون والواقع ، وفلسفة الوجود والعلاقات القائمة بين الأشياء . وتلك من قبيل الإيمان بمبدأ العلية ، والإيمان بمبدأ استحالة التناقض (الجمع بين النقيضين ، ارتفاع النقيضين) و (بعض القضايا الأخرى) . فهذه قضايا مغروزة في الاقتناع والوجدان الإنساني لا يحتاج للاستدلال عليها ، وإلاَّ دخل في طريق مسدود ؛ لأن الاستدلال نفسه يتوقف عليها ، كما هو واضح . أما القدرات العقلية فهي قدرة النفس الإنسانية على التأمل والتفكير وتجريد القضايا من ملابساتها والصعود من مرحلة الجزئيات إلى مرحلة الكلّيات ، والقيام بقياس الأشياء للوصول إلى تصورات جديدة والتخطيط الذهني لمراحل غير موجودة على صعيد الواقع القائم . إن هذه القدرة الذهنية هي من مميّزات الإنسان . وهي سر مسيرته التكاملية وأبعاده ونموه .

وأما الميول الغريزية ، فهي التي تقوده نحو كماله وتدفعه إلى الاِستفادة من طاقاته في هذا المجال :

ومن هذه الميول : ميله نحو الكمال ، والسير نحو الكمال المطلق ، ومحاولة سدّ جوانب العجز في وجوده ، والركون إلى هذا المطلق القادر ، وأداء حقه وشكر نعمه والقيام بحق طاعته . فهذه أمور يجدها الإنسان مغروزة في الطينة الإنسانية وإن اختلفت تجلياتها وتعددت أساليبها . وربما غطت الشبهات على هذه الميول وكبتتها .

ومنها أيضاً ، غريزة حب الذات والعمل على تحقيق طموحاتها ، فهي من الغرائز الأصلية في الإنسان ، والتي لا يمكن تجاوزها والقضاء عليها ، كما تصورت الماركسية يوماً ما أنها ظاهرة فوقية يمكن حذفها من الوجود الإنساني من خلال تحريم الملكية:

ومنها التذوق الفني : والابتهاج لعناصر الجمال التي يزخر بها هذا الكون .

ولسنا نريد استعراض كل العناصر الفطرية ، وإنما نريد أن نطلق هذه الحقيقة ، وهي : أن الاقتناع بأن (العدالة شيء حسن دائماً) و (أن الشيء الحسن ينبغي فعله) هي من الاقتناعات الفطرية التي لا تحتاج إلى دليل . فإذا اقتنع الإنسان بأن الموضوع المعين حسن واقتنع بأنه مما ينبغي فعله دونما تشكيك ، فهو موضوع مطلق ، كما أن من المواضيع المطلقة حكم الوجدان الإنساني بأن قضية (إطاعة المنعم الحقيقي ، والمالك الحقيقي للكون والإنسان) هي قضية مطلقة لا تتخلف أيضاً . هناك من القضايا التي زرعت في الوجود الإنساني العدالة (أصلاً) الصدق ، والأمانة ، والرحمة ، والإيثار ، والسلام .

فهذه الأمور حسنة في أصلها ، ونقصد من عبارة (في أصلها) أنها قد تطرأ عليها بعض الحالات التي تفقد معها حسنها الطبيعي الفطري وتخرج من كونها تجليات للعدالة ومصاديق واقعية لها لتعود من تجليات الظلم والتعدي .

ونستنتج من هذا أن الفطرة الإنسانية تحكم بنوعين من الأحكام :

أحدهما مطلق من قبيل العدالة نفسها وطاعة الخالق الحكيم .

والثاني مقيد ونسبي من قبيل : الصدق والسلام .

فقد يكون الصدق في بعض الأماكن نتيجة ما يؤول إليه من تبعات ظلماً لا عدالة ، وكذلك السلام أحياناً بما يؤدي إليه من جرأة على حرمات الإنسانية ، فإذا كانت العدالة قيمة مطلقة ، فإن السلام قيمة نعمل على تحقيقها إذا عادت وجهاً من وجوه العدالة ، ونرفضها إن كانت ظلماً . ولكن التساؤل الأساس هو :

ما هي معايير العدالة ؟ وكيف نتأكد من تحقيقها ؟ .

إنَّ الأديان السماوية كلها تؤكد على معايير :

الأول : معيار تعبدي نستفيد فيه من علم العالم المطلق ، وهو اللَّه تعالى وهو تعاليم الدين الثابتة ، والتي نتأكد من كونها صادرة من اللَّه سبحانه . ذلك أننا نتأكد قبل ذلك من علم اللَّه الشامل ، ومن لطفه ورحمته بالإنسان المخلوق ومن عدالته وتمتعه بكل صفات الكمال ، فهو لا يريد بالإنسان إلا الخير ولا يخدع الإنسان إنما يكشف له كل الواقع ويريد له كلّ الخير .

الثاني : معيار وجداني يكفي فيه الرجوع إلى الفطرة نفسها .

وممّا يساعدنا في اكتشاف العمق النظري هو كون هذا الاقتناع أي اقتناع ، كان من مستلزمات البيئة الإنسانية . ولذلك نجده متوفراً لدى كل أبناء الإنسان في مختلف ظروفهم وحالاتهم الفردية والاجتماعية وأزمنتهم وأمكنتهم . لكي نتأكد من هذا المعنى نستطيع أن نطرح هذا السؤال على أي إنسان : (هل تعتبر السلوك الفلاني سلوكاً إنسانياً أم سلوكاً حيوانياً مثلاً : قتل اليتامى والعجزة المستضعفين للتلهي والتشهي؟) مثل هذه السلوك يعد سلوكاً وحشياً من قبل أي إنسان بلا ريب . والقرآن الكريم أحياناً يُعيد الإنسان إلى تأمله الوجداني واقتناعة الفطري ؛ (**أُحلَّ لكم الطيبات**)[11] ويترك أمر تعيين الطيبات للإنسان ؛ (**إنما حرّم ربّي الفواحش**)[12] . ويترك أمر تعيين الفواحش أيضاً ويعتبر الخروج عن الحالة الإنسانية (فسقاً) وانحرافاً عن الطبيعة ؛ ﴿**نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون**﴾[13] .

وهكذا ننتهي إلى هذه الحقيقة وهي : أن الأديان تؤمن بالفطرة الإنسانية ، وأن الفطرة تقرر كون العدالة مطلوباً مطلقاً وكون السلام مطلوباً إذا شكل مصداقاً من مصاديق العدالة وتجلياً لها . ومن هنا كان التأكيد الدائم على (السلام العادل) تأكيداً إنسانياً صحيحاً .

السلام العالمي والموقف منه :

قلنا لا ريب في كون الأمان مطلباً إنسانياً فطرياً يستمد جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان ، وهي غريزة (حب الذات) ، وهذه الغريزة تعمل مع باقي الغرائز بشكل متناسق لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للإنسان . فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين السير المتوازن ، وإنما يجب تأمين جو طبيعي للذات الفردية وللذات النوعية كي تدفعها تلك الدوافع نحو آفاقها المنشودة .

وتأكيداً من الفطرة نفسها على توفير الجو الآمن ، نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة ، والميول نحو العدل ، والنفور من الظلم والاعتداء ، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم ، مما يمهد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له ، وحينئذ تنفتح لها آفاق الوحي .

فيجب إذن التفاهم حول هذه العلاقة نظرياً لنصل إلى التفاهم حول المصاديق .

---

(11) سورة المائدة ، الآية 4 .

(12) سورة الأعراف ، الآية 33 .

(13) سورة الحشر ، الآية 19 .

النقطة الرابعة : المحورية الحضارية.

من الطبيعي جداً أن يقدم الإسلام نفسه محوراً أو نموذجاً للحضارة الإنسانية باعتباره خاتمة النماذج الحضارية ، التي قدمها خالق الإنسان بمقتضى لطفه واعتبر الأمة الإسلامية النموذج والشاهد على كل الناس : ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾[14] .

وقد قدم الغرب نفسه محوراً حضارياً ــ يجب أن تقتدي به الأمم ، بل اعتبر نفسه غاية التاريخ ونهايته . كما يعبر فوكوياما المفكر الأمريكي الياباني الأصل ، ورغم أن صموئيل هانتنغتن قد اختلف معه في السبيل ، حيث قال بفكرة الصراع الحضاري ، إلاّ أنه يتحد معه في النتيجة وهي انتصار الحضارة الغربية الليبرالية على كل الحضارات في النهاية . وهي فكرة رددها برايان الآنف الذكر ، ولكن عبر التوسل إلى العالم الإسلامي لكي يطوي بعض المراحل ليصل إلى هذا المستوى "وقد تصور أن العالم الإسلامي يمر في القرن الخامس عشر الهجري بنفس ما مر به العالم الغربي في القرن الخامس عشر الميلادي ، من نهضة أوصلته إلى هذا المستوى اليوم ."

وهذه الفكرة ردّدها سياسيون وقانونيون غربيون آخرون ، وبشيء من الاستعلائية والمقارنة المجحفة حتى بين بعض التصورات الإسلامية المسيحية .

وفي رأيي أن ترك الأمور على إجمالها والمقارنة بين المجملين لن يؤدي إلى نتيجة ، فعلينا أن نحلل كل حضارة ونردّها إلى مبادئها التفصيلية ، ثم نقوم بمقارنة هذه المبادئ إلى بعضها ، معتمدين على المفروضات الإنسانية المشتركة والوجدان المشترك ، آملين الوصول إلى نتائج مشتركة ، وإلاّ بقينا ندور في حلقة مفرغة .

النقطة الخامسة : العالمية والعولمة.

وهنا أيضاً لنسمح لكل طرف كي يطرح تصوره ، ثم لنتفق على المبادئ الأساسية التي تعتمد القبول بالتعددية والتعاون والنظام العالمي المشترك ، خدمة لكل البشرية وتفادياً لإهدار طاقاتها وإمكاناتها .

في الواقع هناك اليوم ثلاثة نظم متنافسة هي : الإسلام ، الاشتراكية ، الرأسمالية . وهي تمتلك جميعاً توجهات عالمية . وهنا أؤكد على أنه لا فرق من حيث هذا التعريف بين العولمة والعالمية . وقد ذكرنا أن الإسلام باعتباره آخر حلقة من حلقات الدين الإلهي ، جاء ليصلح البشرية ، باعتباره طريق خلاصها الذي أراده خالق البشرية ، وهو بذلك يركز على الفطرة

(14) سورة البقرة ، الآية 143 .

الإنسانية المشتركة بين أبناء البشر ، ويعتمد منطق الحوار والإقناع ، باعتباره السبيل الوحيد لخلاص البشرية ، هذا الإسلام استخدم ، لتحقيق أهدافه ، عملية التغيير الفردي والتغيير الجماعي ، وسعى لإلغاء الحدود الجغرافية والحدود اللونية واللغوية ، وإقامة مجتمع عالمي يطبق قانوناً واحداً ، ويتبع قانوناً واحداً ، ويمتلك أحاسيس مشتركة ، وأهدافاً إنسانية واحدة . هذا الاتجاه العالمي يبدو في كثير من النصوص الإسلامية ، مثل قوله تعالى : ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعاً**﴾[15] ، وقوله تعالى : ﴿**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلاّ ذكر للعالمين**﴾[16] .

وهناك نصوص كثيرة تؤكد على عالمية الإسلام منذ انطلاقته الأولى ، خلافاً لما يدعيه بعض المستشرقين والمؤرخين ، من أن العالمية الإسلامية جاءت بالتدريج . ولا مجال هنا لتفصيل القول في هذا الموضوع .

فالإسلام إذاً انطلق باتجاه عالمي ومازال ، عبر العصور ، يؤكد هذا الاِتجاه ، ويؤكد وحدة المنطق الإسلامي ، والمسير والهدف . هذا هو رأي الإسلام . أما الاشتراكية فهي أيضاً عندما طرحت فلسفتها عن التاريخ ، طرحت مسألة المادية التاريخية ، والمراحل التي اشتهرت في هذه المادية ، حيث تنتقل البشرية من مرحلة العبودية إلى المراحل الإقطاعية ، إلى الرأسمالية التجارية ، إلى المرحلة الرأسمالية الصناعية ، إلى المرحلة الاشتراكية ، وبالتالي إلى المرحلة الشيوعية ، عبر بعض القوانين ومنها صراع الأضداد الاجتماعية . هذا التصور أعطى الاشتراكية نظرتها العالمية في إيجاد تحول عالمي في مسيرة الإنسانية . وواضح أن الاشتراكية اعتمدت في هذا المجال قضية صراع الطبقات ، والثورة والنظام الحديدي الاشتراكي الذي يوصل المجتمع إلى الجنة التي يتصورها الاشتراكيون ، وهي الشيوعية[17] . وقد فشلت هذه الرؤية سواء على الصعيد النظري أو على الصعيد التطبيقي في إثبات ذاتها .

هذا بالنسبة إلى الاشتراكية ، أما بالنسبة إلى الرأسمالية ، فقد انطلقت منذ بداية حركتها دون أساس إيديولوجي ، ولم تكن تهتم بالأساس الإيديولوجي ، وإنما همها تنظيم الحياة ، وإقامة نظامها على أساس الحرية الفردية الرأسمالية ، وعندما انطلقت وواجهت اتساع الأفكار المعادية لها ، راحت تأخذ من الاشتراكية شعاراتها وتستبدل بها شعارات مقابلة ، من قبيل العدالة الاجتماعية ، حيث استبدلت بها مسألة حقوق الإنسان ، والتنمية الاقتصادية ، حيث استبدلت بها مسألة السوق الحرة ونمو الإنتاج ، بالتالي فإنها أخذت شعار الأممية

(15) سورة الأعراف ، الآية 158 .

(16) سورة القلم ، الآيتان 51 - 52 .

(17) للوقوف على تفصيل هذا الأمر ، راجع بحوث الشهيد محمد باقر الصدر في كتابه "**اقتصادنا**" ، ص 53- 238 ، حول الموضوع .

البروليتارية واستبدلت به شعار العولمة الرأسمالية ، إذ عندما انطلقت انطلقت محلية ، وكان تركيزها على الغرب ، ولم تطرح نفسها بشكل عالمي ، إلا بعد أن توفرت ظروف مناسبة لذلك .

النقطة السادسة : العولمة الاجتماعية ومشاكل السكان والتنمية.

الملاحظ في مسيرة التفكير الاجتماعي الغربي والحاكم في النهاية على مسيرة صياغة الوثائق الاجتماعية الدولية ومنها (وثيقة القاهرة) و(وثيقة كوبنهاكن) و(وثيقة بكين) وغيرها ، أن هناك منطلقات تحكم هذه العقلية ، وأهمها ما يلي :

أولاً : منطلق نظرية مالتوس القائلة بأن معدلات النمو الإنساني أسرع من معدلات النمو الطبيعي للموارد والإمكانات في الطبيعة .

ثانياً : منطلق أنه لا يمكن بل ينبغي ألاَّ توضع العقبات أمام الاستجابة الحرة للغرائز الجنسية ، لأن ذلك يؤدي للكبت ، والتمرد ، ويخالف حقوق الإنسان .

ثالثاً : عدم الإيمان بما يسمى بالقيم الإنسانية أو القيم الأخلاقية الاجتماعية- بل تصور أن توفر مثل هذه القيم في المجتمع يؤدي إلى عدم الاستجابة للثقافة الغربية على المستوى العالمي . ولذا يجب العمل على محوها اجتماعياً لكي تنفتح الشعوب أمام عملية الغزو الثقافي الجامع وفرض التصورات الغربية ، لا على الأذهان فحسب ، بل وحتى على القوانين الفرعية الاجتماعية في المجالات المدنية باعتبارها عملية إدخال لروح حقوق الإنسان في المجالات القانونية ، وباعتبار الغرب قيّماً مزعوماً على حقوق الإنسان هذه . وهي أخطر مراحل هذا الهجوم حتماً .

رابعاً : الروح العلمانية التي وَاجَهَ بها الغرب سلطة الكنيسة وتخلص من براثنها ليتجه الاتجاه المادي ويصنع حضارته التي جمعت بين هذا الاتجاه والتقدم العلمي . ومن هنا فهو يتصور أن منهجه هذا هو الذي يجب أن ينفذ في شتَّى أنحاء العالم .

وهو بذلك يتحسس من كل ما هو ديني أو يمت إلى الدين بصلة . ومن هذه المنطلقات وأمثالها جاء هذا التخطيط الرهيب ليعتمد الأسس التالية :

1 . تأييد التحرر الكامل من القيود الدينية وخصوصاً في المجال العائلي والاجتماعي .

2 . تقليل النمو السكاني بشتى الوسائل ، ومنها الإجهاض .

3 . فرض المفاهيم الغربية عن حقوق الإنسان على الساحات الفكرية والعملية والقانونية .

4 . التأكيد على فكرة العولمة الاجتماعية وتدخل الأمم المتحدة في ثقافات الشعوب وبنيتها الاجتماعية . ونلاحظ أن الإسلام لا يعترف بمجمل هذه المنطلقات ؛ فالقرآن الكريم يؤكد أن اللّه تعالى أودع في الطبيعة كلَّ ما يحتاجه الإنسان . وهو أمر يستنبطه الوجدان الإنساني الذي يلاحظ كل هذا الانسجام والتخطيط في الكون .

ولكن الذي أوجد المشكلة في الواقع هو ظلم الإنسان في توزيع المحصول الطبيعي توزيعاً عادلاً ، وكفره بأنعم اللّه تعالى : ﴿**وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدّوا نعمة اللّه لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار**﴾[18] .

كما أن الغرائز هي دوافع عمياء صممت في وجود الإنسان لتحقق له المضي في المسيرة ولكن تحت هداية عقلية وتخطيط تشريعي واقعي ، فلا يمكن أن يطلق لها العنان ، وإلا تحولت إلى عواصف هوجاء تعصف بالوجود الإنساني . كما أن الإيمان بالقيم الأخلاقية نابع من الإيمان باللّه تعالى وهو مقتضي الفطرة الإنسانية والوجدان ، ومن طلب ما عدا ذلك فقد بخس الإنسانية حقها وأخرجها إلى حيوانية عجماء ﴿**أولئك كالأنعام بل هم أضل**﴾[19] .

وأخيراً إن الإسلام دين الحياة المترابطة ولا يمكن أن تنتظم الحياة إلا به ، فالعلمانية مرفوضة جملة وتفصيلاً . وعلى هذا الأساس فإن النتائج التي اعتمدها هؤلاء مرفوضة أيضاً .

إلاَّ أن هناك نقطة مهمة يجب ملاحظتها أيضاً ، وهي أن هناك بدائل مشروعة تطرح نفسها فيجب توخيها وعدم اتخاذ الموقف السلبي الكامل منها ؛ فمسألة تنظيم العائلة أمر لاحظه الإسلام وسمح به ، بل وربما أوجبه إذا تطلبت المسيرة الاجتماعية ذلك نتيجة للظروف الطارئة ، فإذا عاد النمو السكاني خطراً على منطقة ما وتخطيطها نتيجة عوامل لا يد للدولة الإسلامية فيها ، كان من الممكن لولي الأمر أن يأمر بذلك كما أمكن للأفراد أن ينظموا المسيرة وفقاً لما يحقق المصلحة الاجتماعية . والأب والأم هنا حرّان في مسألة التنظيم هذه . ولكن ذلك يتم بالطرق المشروعة وليس الإجهاض إحداها قطعاً ، فهو أمر غير مسموح به إلاَّ في الحالات النادرة كتعرض حياة الأم للخطر أو ابتلاء الجنين بمرض عضال غير قابل للعلاج مثلاً .

وحقوق الإنسان بمعناها الحقيقي يضمنها الإسلام ويعمل على توفيرها للأفراد في إطار واقعي سليم .

وللإسلام مفهومه الخاص عن العولمة إذ يقيمه على أساس من الفطرة الإنسانية ، وهي مشتركة بين أفراد البشر لا تنمحي وإن كانت آثارها قد تضعف وتقوى .

---

(18) سورة إبراهيم ، الآية 34 .

(19) سورة الأعراف ، الآية 179 .

وعلى أي حال فينبغي التعامل بحذر وإيجابية مع الوثائق المطروحة ، وإلاَّ ابتلينا بسلبياتها فرضاً وخسرنا إيجابياتها .

أمّا المشكلة التعليمية (التعليم للجنسين) ، فإنه ليس للإنسان أن يتصور تحفظاً للإسلام في مجال التعليم ، فالإسلام دين العلم ، وهو يحبذ تعليم الإنسان في أي مرحلة كانت ، فلا مشكلة لدينا في تعليم الإنسان حقوقه الفردية والاجتماعية ، ولا مانع مطلقاً من كشف الحقائق أمام الإنسان .

إنما الإشكال يكمن في أن يستغل التعليم وأساليبه لتحقيق أهداف لا إنسانية ، وحينئذ يقف الإسلام ضد هذا الاستغلال .

والتعليم بمسألة الجنس والعلاقة الجنسية وآثارها من الأمور الطبيعية ، للتوقي من الآثار السلبية للجهل ، وللتخطيط للإشباع الحكيم ، وتحقيق هدف الخلقة الإنسانية في ضمان استمرار النوع البشري ، ليقوم بإعمار الأرض وبناء المجتمع الصالح وتنظيم العلاقات الاجتماعية ، وكذلك لإشباع حاجاته الجنسية الطبيعية والتمتع بالحياة .

كل ذلك أمر طبيعي ، وطبيعي أن يدعو له الإسلام ويحبذه ، إلا أن الخطر يكمن في عملية الاستغلال ، ذلك لأنه يمس جانباً حساساً مشتعلاً في حياة الإنسان ، خصوصاً الإنسان الشاب ، ومن هنا يأتي عنصر الاستغلال ، الأمر الذي يدعو إلى الاِحتياط . لذلك وجب أن يكون التعليم في السن المناسب وتحت إشراف الوالدين مستهدفاً الحيلولة دون الانتهاء إلى نتائج سلبية فردية أو اجتماعية ، جسمية أو روحية . ومن هنا فإن المطلوب أن توضع خطة حكيمة لتعليم أولادنا وبناتنا ما يحتاجون إليه من معلومات ترتبط بهذا الجانب ، وأحكام هذا الباب متناثرة في أبواب فقهية متعددة مثل الطهارة والنكاح والعقوبات وغيرها .

أما التستر على الأمر بحجة الاستحياء ، وعدم هتك الأسرار ، فهو إلى حد ما طبيعي ، ولا يعني أن لا تنقل المعلومات اللازمة لنُوقِعَهم أو نعرضهم للوقوع في هذه الخطيئة أو القلق .

وحول مشكلة الإجهاض ، فهناك بعض الدول التي تبيح الإجهاض في قوانينها الداخلية بشكل طبيعي ، وهناك الاتجاه الآخر الذي تقوده الكنيسة وهي تحرم أية عملية إجهاض مطلقاً ، بل أي عملية تنظيم للنسل وتخطيط للأسرة من خلال أقراص منع الحمل وأمثالها ، اللَّهم إلا ما كان من قبيل التخطيط للمقاربة الجنسية في الأوقات التي يقل فيها احتمال انعقاد النطفة كبعض الأيام في الشهر .

وهناك الاتجاه الإسلامي الوسط الذي يمانع فيها ويحرم القيام بالإجهاض منذ انعقاد النطفة ، ولا مانع من القيام بكل عمل يقف بوجه هذا الانعقاد كالعزل الذي أحله رسول اللَّه ﷺ لأصحابه .

كما لا يمانع من الإجهاض إذا تعرضت حياة الأم للخطر المحقق ، أو ابتلي الجنين بمرض عضال لا يقبل العلاج حسب بعض الآراء طبعاً .

وعلى أي حال ، يجب أن لا يحبذ هذا العمل ولا يعتبر وسيلة لتنظيم النسل مطلقاً .

ولكن إذا تم السماح لهذه العملية شرعاً ، فيجب أن يتم بالطرق الصحيحة المأمونة بلا ريب .

كما أنّ الإسلام يحرم مطلقاً أن تقوم الأم بهذه العملية لعدم الرغبة في الإنجاب ، أو لوجود بعض النتائج السلبية ، الاقتصادية والاجتماعية .

إنّ الجنين مهما كان السبب في تكونه (حتى ولو كان ذلك محرماً) إنسان محترم ، له حق الحياة . ولا يجوز الاعتداء عليه ، ويجب توفير كل الظروف الملائمة لتكامله وولادته صحيحاً سالماً .

وتبقى هناك مسألتان :

1 . **مشكلة الشباب** : لجيل الشباب بمقتضى طبيعته الحيوية وتحولات حياته ، الكثير من المشاكل ، وأنماط السلوكيات التي يفرط فيها أحياناً ولا يجد متنفساً لها في المجتمع أحياناً أخرى . من قبيل المشاكل الجنسية ومشكلة الزواج ، والنزوع للتحرر من أية قيود ، والتمرد على التقاليد ، وطرح التساؤلات العديدة ، وقلق الشخصية وترددها بين الطفولة والرجولة ومشاكل التعليم .

وهذه الحالات تتطلب منا مواجهة حكيمة كما أسلفنا ، من خلال الدراسة الميدانية ، واللقاءات الودية والحرة ، والعمل على ملء الفراغ الشبابي بشتى الأساليب الإيجابية ، والابتعاد عن جوّ العنف والتحلل والتمرد ، وتوفير فرص التعويض الإيجابي بدلاً من كبت العقد النفسية ، وإشاعة الأخلاق الفاضلة بالحكمة والموعظة الحسنة ، بدلاً من استخدام أساليب الوأد ، والإجابة على التساؤلات وأمثال ذلك .

2 . **مشكلة المرأة** : للمرأة أيضاً مشاكلها الخاصة بها ، من قبيل المشاكل الاجتماعية التي قد تكون حجر عثرة أمام الزواج ، كمشاكل الطلاق ، ومشاكل الضعف في مواجهة الحالات العنيفة كالحرب والتهجير والتقاليد المجحفة ، ومشاكل الدخول في المعترك الاجتماعي الإداري والاقتصادي والسياسي والتعليمي ، فينبغي إذن العمل الجاد على اكتشاف هذه المشكلات ، ووضع الحلول المناسبة ، مسترشدين بالحلول الإسلامية الأصلية ، ورافضين لكل حالات التطرف المقيت ، الذي يسلب المرأة حقوقها الإنسانية الإسلامية ويبعدها عن الإسهام في عملية البناء الاجتماعي

الواسع ، بل في العملية الحضارية الإنسانية أسوة بالعظيمات من النساء اللواتي تركن بصماتهن على صفحات التاريخ .

إنها طاقة كبرى يجب أن لا نكفر بنعمتها ونتركها هكذا تذوب وتنزوي ، بل نعمل على أن تسخّر لصالح الإنسانية .

النقطة السابعة : الديمقراطية.

إنّ الليبرالية الغربية تمنح كل السلطات للشعب ، فله التقنين والتعيين للحكام .

إلاّ أن الديمقراطية الغربية تتحول إلى مجرد حقوق اسمية في كثير من الأحيان ، حينما يتدخل المال والتزوير والتحالفات المصلحية .

في حين يرى الإسلام أن الدين بمقتضى انطلاقه من خالق الإنسان ، له الحق في تعيين نوع تدخل الإنسان في مجال التقنين والتعيين . ومن خلال هذا المبدأ قام الإسلام بالأمور التالية :

1 . عالج الجانب الثابت من الحاجات الإنسانية بأحكام ثابتة لا تتناولها يد التغيير ، نعم قد تتغير بعض أساليب التطبيق باختلاف الزمان والمكان والاجتهادات كاختلاف أساليب تطبيق التكافل والتوازن الاجتماعي باختلاف المجتمعات الإسلامية .

2 . فسح المجال للحاكم الإسلامي في التشاور مع الأمة لتحقيق المصالح المتغيرة وإشباعها بأفضل الطرق في مجال المباحات .

3 . وضع الشروط اللازمة لانتخاب الكوادر (الأطر) التنفيذية على كل المستويات ، وبالتالي نستطيع أن نعبر عن الحكم الإسلامي بأنه حكم الشعب ضمن الإطار الديني .

إذن فهناك نقاط التقاء كثيرة يمكن التوصل بها إلى حد مشترك مع الديمقراطية الغربية .

النقطة الثامنة : العلمانية.

وهي فكرة نشأت في أحضان غربية ونتيجة صراعات بين أنصار التحرر والتزمّت الكنسي ، انتهت إلى عزل الكنيسة عن الحياة الاجتماعية تقريباً ، وبالتالي فصل الدين عن الحياة .

إلاَّ أن طبيعة الإسلام وتعاليمه الحياتية وتخطيطه لأسلوب الحكم وتطبيقاته العلمية ، تتناقض مع هذه الفكرة . ونحن لا نرى مجالاً للتفاهم على حد مشترك في هذا المجال .

النقطة التاسعة : حقوق الإنسان.

وفي هذه النقطة لا نجد اختلافاً كبيراً في المفهوم وفي نوعية القيود التي يجب أن تقيد هذه الحقوق ، من حيث ضرورة كون هذه الحقوق معقولة ، إلاَّ أن الاختلاف قائم في مجالات أخرى من قبيل (منشأ الحقوق) وهو الإنسان ذاته الذي يقررها ويقرر حدودها ومصاديقها وبالتالي يتبع الأمر اجتهادات الإنسان . واللَّه خالق الإنسان ومالكه ، سبحانه وتعالى ، وهو الذي يمتن بها على هذا المخلوق ، ثم يعين له حدود هذه الحقوق والتي تضمن أن تكون استفادة الإنسان منها محققة لتكامله الفردي الاجتماعي وغير مخلة بالتوازن المطلوب ، بعد أن كان الحق ذا طرفين : من له الحق ومن عليه الحق .

وعلى أي حال ، فنحن نعتقد أن الإيمان بنظرية الفطرة الإنسانية ضروري للإيمان بالحقوق الإنسانية ، فالإنسان الذي يمكن أن نتصور له حقوقاً هو الموجود الذي يمتلك بطبعه عناصر فطرية تولد معه وتبقى معه ما دام إنساناً ، فإذا انقلب إلى وحش فقد هذه الحقوق ﴿**ولا تكونوا كالذين نسوا اللَّه فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون**﴾[20] . والحقيقة أننا إذا لم نؤمن بالفطرة الإنسانية فقدنا المعيار في تشخيص الحقوق ، وربما كان الذين كتبوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ينطلقون من هذا المنطلق ، دون أن يشعروا أو يصرحوا بذلك ، حينما قرروا في مقدمة الإعلان ، ضرورة معرفة الحيثية الذاتية للإنسان لتحقيق الحرية والعدالة والسلام .

(وبالتالي نجد اختلافاً واسعاً بين الغرب والإسلام في مصاديق هذه الحقوق . إلاَّ أن هذا لا يعني عدم إمكان الوصول إلى مساحات مشتركة كثيرة ، وهذا يتضح مع المقارنة بين الإعلان العالمي والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان)[21] .

النقطة العاشرة : دعم الحركة الصهيونية.

إنَّ العداء بين الحركة الصهيونية والأمة الإسلامية بات قوياً لا تزيده الأيام إلاَّ رسوخاً ؛ نتيجة الطبيعة العنصرية من جهة والتأصل الإجرامي لدى الصهاينة ، من جهة أخرى . وها نحن نتجاوز قرناً من الزمان ملؤه التعدي على حقوق المسلمين المعترف بها دولياً . وقد تجاوزت انتهاكات العدو الصهيوني العشرات بل المئات من قرارات الأمم المتحدة وبشكل يندى له جبين الإنسانية .

إلاَّ أنا نجد الغرب وعلى رأسه اليوم أمريكا ، يقف مدافعاً عنه وداعماً له بشتى أنواع الدعم ، بل ومتجاوزاً حتى لشعاراته هو من حماية حقوق الإنسان ، بل معتبراً إيّاه النظام الديمقراطي المقدَّم للعالم الثالث .

---

(20) سورة الحشر ، الآية 19 .

(21) راجع كتابنا "**حول الدستور الإسلامي**" ، ص 157 .

والغرب بهذا الصنيع المجحف يثبت كذب منطق حمايته لحقوق الإنسان ، ويكيل بمكيالين في هذا المجال ، ويثير حقد العالم الإسلامي ، بل حقد كل إنسان يحترم إنسانيته .

هذا وقد حاول الكثيرون الوصول إلى بعض المساحات المشتركة . ولكن كل هذه المحاولات تحطمت على صخرة الطبيعة العنصرية والعدوانية الصهيونية . وهي مسألة لا نجد فيها أي مجال للمساومة .

ISLAM TODAY

Journal of the Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization -ISESCO-

Edited in the three languages: Arabic, English and French

Issue 26 - 26th year
1430H / 2009

Terrorism: Factors and Countermeasures

Sheikh Mohammed Ali Al Taskhiri(*)

First: What is terrorism?

Terrorism is any hostile action that contradicts, in means and aims, religious and natural values and general human laws, and poses a threat to security under all its forms.

For the sake of clarity, note must be taken of the following:

1- We use the term "human" instead of "international" in order to achieve general consensus and establish a generally accepted judgment.

2- We consider means and aims as essential elements in the definition of terrorism.

3- We refer to the various forms of terrorism when we said "a threat to security under all its forms".

4- We use the religious and human criteria to remain in compliance with our faith first and foremost, and then apply this measure to humanity at large.

5- The violent nature of an act is no longer a criterion in labeling it as a terrorist act.

The element of hostility is a focal point in this definition since it represents grounds for condemnation.

In light of this definition, we can identify the paradigms used to describe an act as terrorist. We can affirm that these attributes do not apply to:

A- National resistance operations conducted exclusively against occupiers and colonialists.

B- The resistance of peoples against forces imposed on them by force.

C- The rejection of dictatorship and any form of tyrannical rule.

D- Struggle against inhumane movements such as Nazism and racism.

E- Retaliation in the same fashion to aggression when no other options exist.

F- Legitimate *jihad* with its moral conditions and human objectives as defined and clarified by our scholars.

---

* Secretary General of the World Forum for Proximity of Islamic Schools of Thought, Tehran, Islamic Republic of Iran.

These attributes do not apply either to any peaceful action (involving no terrorist act), even if the underlying purpose is not a humanitarian one, nor do they cover individual destructive acts with no effect on society.

Such acts and similar ones, even if they are condemned on another level, cannot be considered as terrorist acts.

On the other hand, this definition applies to:

a) Air, maritime and land piracy;

b) All occupation operations, including wars and military campaigns;

c) All dictatorship actions perpetrated against peoples and all forms of support extended to dictatorships and imposing such regimes on nations;

d) All military actions that violate humanitarian conventions such as the use of chemical, nuclear and biological weapons, attacking civilian targets, bombing houses, displacing civilians and similar actions;

e) Any act that is detrimental to the geographical, cultural or information environment;

f) Any action likely to destabilize the international or national economy, undermine the conditions of the poor and the deprived, deepen social and economic inequalities and weigh peoples down with the burden of expensive loans; and

g) Any plot to crush people's aspirations for independence and freedom and impose reprehensible alliances on them.

Many examples can be given in support of the above definition.

Second: Despite the numerous meetings and attempts made to combat terrorism, most of these were doomed to failure because the motive behind them was not an international noble one but a desire to serve personal interests. They neither tackled the conditions conductive to terrorism, nor did they address its root causes. Needless to say, fighting the diseased instead of the disease is not a rational approach.

Third: Waging war on this phenomenon was doomed to fail because it was initiated under a leadership whose dark historical record of terrorism, oppression and crushing the will of peoples, using all means available including open warfare. In man's recent history, this leadership has waged dozens if not hundreds of wars to spread its domination and impose its concepts.

In many of its actions, it failed to adhere to international laws, espousing instead theories that inherently contradict them, such as absolute supremacy and

pre-emptive wars. It appointed itself as prosecutor, judge and policeman, breaching the most basic rules of justice and destroying all credibility in its actions.

Fourth: This leadership has erred when it focused on Islam, considering it as its imaginary enemy and building its strategy on fighting it and devising a large scale plan whose most salient features are:

1. Challenging the Islamic civilization's values and concepts. Many examples of this exist in the West, such as a declaration by an Italian official of the Western civilization's supremacy over the Islamic one, the pretention that the Christian faith is favored over Islam in divine attributes, and the campaigns waged against the concept of *jihad* and the Islamic perception of women's rights, etc.
2. Steering up hatred and hostility towards Islam and anything pertaining to Islam in the West, attacking mosques and Islamic centers, harassing Muslim minorities, levelling accusations at Muslim countries, even at those considered as friendly, and accordingly banning even legal immigration despite Europe's need for immigrant labor.
3. Lashing out at some Muslim countries and accusing them of harboring terrorists. This happened in the war-torn Afghanistan and Iraq, while other Islamic countries remain under the same threat.
4. Describing some Islamic countries as forming an axis of evil. These countries remain under constant threat; some of them were even threatened with a possible atomic bomb attack.
5. The ongoing media campaigns and security plots targeting Islamic financial institutions, charities and daawa organizations. Pressures are put on some governments to close down these institutions.
6. There are also plots to discredit Islamic educational institutions and undermine their autonomy. The West is also brazenly interfering in some Islamic states to change school curricula to better suit its own agendas.
7. There are noticeable attempts to marginalize the role of Islamic international institutions.
8. There are plans to escalate the campaign initiated by the West, long before 9/11, to spread moral dissolution, debauchery and disrespect of sanctities, weaken classical Arabic while encouraging local dialects and fight the Quranic script (as in Central Asia). This process also aims to promote secularity, exacerbate conflicts among Islamic states, fight *ijtihad*, challenge the suitability of Islam for this age and advocate Western values instead.

9. A most important aspect is the attempt to expedite, in any manner whatsoever, issues that inconvenience the West. The most prominent of these is the Palestinian cause of which the termination was entrusted by America to Charon who exploited the general panic to execute his plot against Palestinians under the pretext of war against terrorism. He committed despeakable crimes and was blatantly backed throughout by America. The West simply made abstraction of all its history of fighting Fascism and Nazism and its slogans of democracy, human rights and international legality. Even the Zionist enemy's horrific crimes in Jenine could not be investigated by the United Nations despite a UN resolution issued in this regard and despite the fact that these events were recorded and documented by international personalities.

Fifth: With this in mind, it may be worthwhile to address the role of Islam in achieving security for man after affirming its outright rejection of all forms of tyranny.

Islam strives to provide moral and educational security: [**It is He Who has sent amongst the Unlettered an apostle from among themselves, to rehearse to them His Signs, to sanctify them**][(1)], and refutes anything likely to taint human morals and deaden man's conscience.

Islam also strives to bring about social security by consolidating the family institution and discarding anything likely to steer instincts towards debauchery. It presents a system of lofty human values and social relations and rejects the material factors that could tear the Ummah apart such as color, language, race, tribalism or geography. Islam guarantees the right of every human being to existence, dignity, freedom and social and economic security, and rejects all destructive elements such as greed, abuse, usurping others' property, monopoly over wealth, excessiveness, usury, tyranny, murder and other such vices. It also endeavors to ensure people's participation in politics through the principle of *shura* (consultation), *mutual wilaya* and accountability.

At the civilizational front, Islam endeavors to achieve security and just peace for humanity at large. In Islam, even when war becomes unavoidable, it is a clean one where only the aggressors are fought back while civilians and even nature remain safe.

The Prophet (PBUH) says: "*Let your invasion be in the Name of Allah and for His sake. Fight those who disbelieve in Allah. Invade but do not exaggerate*

(1) Al Jumu'ah, verse 2.

nor commit treachery. Never deform the corpse of a dead person, kill a decrepit man, an infant child or a woman, do not cut a tree unless it is inevitable"[2].

Environmental, natural and animal security is guaranteed in Islam and the general rule of 'Do not harm or accept harm' prevents harm to the environment because it affects humanity by association. Islam considers nature as a divine bounty at the service of man who should be grateful for this blessing: [**And He giveth you of all that ye ask for. But if ye count the favors of Allah, never will ye be able to number them. Verily, man is given up to injustice and ingratitude.**][3] Even bonds of love and affection could exist between man and nature. Prophet Mohamed (PBUH) walked past Mount Uhud and said: "*This is the mountain which loves us and we love it.*"[4] The divine pledge remains ever present in the minds of Muslims, urging them to strive forever for its fulfillment. Allah (SWT) says: [**Allah has promised, to those among you who believe and work righteous deeds, that He will, of a surety, grant them in the land, inheritance (of power), as He granted it to those before them; that He will establish in authority their religion - the one which He has chosen for them; and that He will change (their state), after the fear in which they (lived), to one of security and peace: 'They will worship Me (alone) and not associate aught with Me. 'If any do reject Faith after this, they are rebellious and wicked.**][5] Such is the worshipping society that rules over the earth, enjoying safety against external and internal enemies, and such is the mission of all prophets materialized: a society of worshippers who are safe from tyranny.

Actually, the general concept of terrorism as "any hostile action that contradicts, in means and aims, religious and natural values and general human laws, and poses a threat to security under all its forms", is utterly rejected by Islam which endeavors to uproot it.

Sixth: It is just normal to conclude that we cannot eradicate the disease by only eliminating the diseased.

Most terrorism manifestations witnessed today are owed to one or more of the following factors:

a) The spread of ignorance, hatred, despair, blind fanaticism and the obscurantist perception of the Other which overlooks his positive qualities. This includes Islamophobia on the one hand, and the blind abhorrence of anything that is Western, on the other.

---

(2) ***Kanz Al Ummal***, vol 4, page 333, ***Al Kafi***, vol 5, page 27 and other sources.
(3) *Ibrahim*, verse 34.
(4) Narrated by Muslim.
(5) *Annour*, verse 55.

b) The spread of poverty, hunger and deprivation. Poverty is akin to *kufr* (disbelief), as Omar Ibn Al-Khattab said.

c) The prevalence of injustice, occupation, usurpation of peoples' resources, tyranny, repression, violence, violation of human rights and legitimate liberties, and the lack of free expression which leads to repression and eventually to explosion.

d) Loss of spiritual inhibitors, the shrink of values and the proliferation of primal inclinations. This explains how terrorists lose all sense of compassion. Terrorism has no religion because all religions lay a strong emphasis on mercy.

e) The spread of anti-human cultures and ideologies such as Nazism, Fascism, Zionism, racial discrimination, supremacy trends, excommunication and other similar trends.

Unless constructive plans are formulated internationally to eradicate or alleviate these plagues, they will continue to sow seeds of terrorism. The amazing part is that the superpowers whose history is enmeshed with wars, destruction and terrorism are the spearhead of the fight against terrorism, which so-called noble fight is perpetrating most horrific forms of terrorism, in the real sense of the word.

Seventh: At gatherings dedicated to this issue, we have called for action at the global and Islamic levels:

Action proposed at the international level:

As a strategic move to curb terrorism under all its forms and sources, we suggest that the United Nations adopt this project provided that new mechanisms be established to prevent superpowers from sidetracking the project to serve their own interests and from exercising pressures on the Organization to bow to their expansionist agendas. Thus, the United Nations Organization could be an international reference in the global campaign against terrorism and in achieving equitable world peace. The premises of this campaign are the following:

1- Equality in rights and obligations of UN Member States, and preventing one or a group of states from holding sway over its resolutions, particularly with regard to the unfair mechanisms through which the Security Council takes its decisions. In fact, such mechanisms are behind the perpetuation of terrorism in many spots in the world, particularly in Palestine. For example, the United States has often used its veto right to block the Security Council resolutions to curb the unbridled Zionist terrorism.

2- Putting and end to the injustices being perpetrated against the Palestinian people and neighboring countries by the Zionist entity.

3- Establishing an international mechanism to prevent superpowers from supporting dictatorial and racist regimes as well as terrorist organizations and movements.

4- Fighting poverty, ignorance, fanaticism, diseases and all aspects of backwardness, as well as the plagues of modern life, media and artistic institutions inciting violence and racism and undermining moral values worldwide as they constitute the natural breeding ground of all terrorist conflicts.

Efforts would be doubled up to:

a) Expand dialogue among civilizations and religions;

b) Encourage a form of democracy that is in harmony with moral values;

c) Support the implementation of development programmes in the world;

d) Consolidate international organizations and rid them of their hegemonist tendencies;

e) Enhance morality and values, highlight the role of religion in this regard, and respect the role of the family in the process of social edification;

f) Guide the information landscape to better serve humanity; and

g) Humanize art and its usages to serve lofty objectives.

5- Endeavor by all means to prevent the exploitation of events by leading western countries which turn them into civilizational clashes and a war of religions, in an attempt to settle scores with some regimes at the expense of peoples.

6- Alleviate the suffering of the peoples of Afghanistan and Iraq, support them with food, clothes, shelter, and medicine, and work towards the total withdrawal of American and other forces and the restitution of power to its rightful owners.

7- Sustain and further dialogue among the followers of religions, civilizations and *madhahibs* with the aim of shaping a universal public opinion that plays its part in spreading justice, peace and love among the peoples of the world.

The peace that humanity strives for is a just peace where opportunities are equal, where everyone enjoys his rights, where the persecuted is served with justice and the aggressor punished. Only just peace can be successful in uprooting injustice and terrorism. An unjust and forcefully imposed peace is a cursory

solution likely to keep the fires of dissension simmering under ashes since the criminal becomes the equal of the victim. Rights are lost and the *fait accompli* policy becomes the rule. Violence will flare up again with the same intensity if not more. An unfair peace will result in more problems and lead to the perpetuation of tension spots, which is exactly what is happening in many parts of the world today.

Eight: We can use constructive dialogue to draw benefits from the dialogue of religions first and then from the dialogue between Islam and the West to redress the image of one in the eyes of the other.

Many points of convergence exist between the Abrahamic religions in various fields such as:

They all focus on the worship of Allah and oppression and tyranny: In his book The Case for Islamo-Christian Civilization, Richard W. Bulliet proposes this phrase as opposed to 'the clash of civilizations', focusing on the contributions of both civilizations to the general march of humanity and arguing that the difference in their respective emergence and the continuous conflicts between them should not prevent civilizational sibling. Even the gap in terms of material development from 1600 to 1900 evens out through the demographic advance of the Islamic world by 50 against 20%.

"*Looked at as a whole, and in historical perspective, the Islamo-Christian world has much more binding it together than forcing it apart. The past and future of the West cannot be fully comprehended without appreciation of the twinned relationship it has had with Islam over some fourteen centuries. The same is true of the Islamic world. The case for Islamo-Christian civilization as an organizing principle of contemporary thought is rooted in the historical reality of those centuries. One might hope that historians of Western Civilization and of Islam will see the value of readjusting their perspectives to take this reality into account. (…) Islamo-Christian civilization is a concept we desperately need if we are to have any hope of turning an infamous day of tragedy into a historic moment of social and religious inclusion.*"(6)

The book's translator, Mahmoud Haddad, says: "*Not everyone agrees with Huntington's theory. Many intellectuals opposed his line of thought, stressing the necessity for a dialogue of religions and civilizations and the need for coexistence instead of war. But the book argues that Islam and Christianity constitute one*

(6) Richard W. Bulliet, ***The Case for Islamo-Christian Civilization***, Columbia University Press, 2004.

civilization from the social viewpoint."[7] Although some of the points treated in the book are debatable, it is nonetheless worthy of reading.

Dialogue with the West is definitely a very valuable tool.

I do believe in dialogue with the other because it is a sound human logic. I equally believe that Muslims need to engage in a dialogue with Western thinkers to resolve the very complex problem that provides a favorable breeding ground for terrorism.

Many other authors and thinkers made the same call. For example, Hmida Al Mamoun An-Nafir wonders: "*Is there any way to bypass the shackles that encapsulate specificities within a mass of perceptions considered as the realm of production, while the other spheres are considered as peripheral if not marginal. Indeed, the problem lies in the egocentric view which perceives the other as a mere peripheral component*". In fact, historical accumulation greatly influences the relationship between Muslims and the West.

The West's perception of Islam took shape over a long period of time. During this time, Western orientalists, thinkers, researchers and politicians formulated a wide spectrum of opinions that varied in accordance with their methodological, religious and political backgrounds and premises. Despite the multiplicity of these views, they concurred on a number of aspects which gradually became established as the West's conception of Islam. This is part of the West's self-awareness according to which the West has given itself the position of 'truth', 'power', 'centre', 'rationality', and 'progress' and relegated the other to 'falsehood', 'weakness', 'periphery' 'madness' and 'backwardness'. The West then translated this perception into various actions such as military occupation, economic dominance, cultural and political hegemony and psychological and information warfare.

One of the important approaches proposed in the West in the nineties was the theory of the British Bedham Brian who explained it in a series of articles published in the Economist in 1994. However, Brian's thesis never received as much attention as did Huntington's '**Clash of Civilization**' and Fukoyama's '**The End of History**' despite their interesting content on the relationship between the West and Islam. This vision truly reveals a kind of Western strategy for dealing with the Islamic world in general, and with anything that could highlight Islam's effective contribution to the march of human civilization, in particular.

By the same token, the Islamic vision of the West took shape under the influence of a historical and accumulation of facts that led some to believe in the impossibility of any alliance, assuming a total absence of a common ground.

(7) Idem.

Unlike some of the rather extremist views, we believe that there is much in common and that there is a possibility for convergence and unification of stances, particularly in the presence of fair-minded people embracing a rational and humane approach. There is great respect for principles in the West and so many principled people who are willing to vehemently support our Arab and Islamic causes.

On this optimistic note, let us forge ahead with the presentation of some important issues:

First: Hostile views, Crusading Spirit and Violence

Mutual mistrust and hatred have often marked relations between the two blocks with historical friction and continuous conflicts over centuries. These sentiments were further exacerbated by religious interpretations, nationalistic interests and expansionist and racist tendencies. This has given rise to a mix of enmity and mistrust, a great deal of generalizations and resentful interpretations of facts, so much so that a hostile indiscriminate perception of the West settled in the hearts of Muslims in the same way that the crusades spirit against Muslims prevailed in the West.

This is perceptible in the statements made senior officials on both sides. Tension escalates at the time of major events, such as the hostile anti-Muslim campaigns waged in the West which intensified 16 times within one year according to the FBI. The same tendency is noted within the Muslim camp which has begun to strongly resent anything Western and wishing to annihilate it at any price, even through means condemned internationally and by Islam itself (ie. the Bali bombings in Indonesia). This brings us to another thorny issue closely linked to this hostile view, namely terrorism and violence.

This phenomenon certainly finds its root in this sentiment of hostility. It is a raging fire which, if left unattended, will ravage everything on its path.

On the one hand, there is the West, still licking its 9/11 wounds, and on the other hand, Muslims are still nursing their festering wounds in Palestine, Afghanistan and other places.

On yet another front, the West appoints itself as a prosecutor, judge and executioner in this matter although it admits that terrorism has not yet been accurately defined. Indeed, a clear distinction is yet to be drawn between terrorism and legitimate resistance, religiously and internationally. The West continues to propose the absurd dichotomy: “you are either with me, or you are a terrorist” just like communists said 'you are either a communist or you don't understand communism', thus closing the door to discussion and opening it before violence.

Second: Natural freedom and Social Freedom

One may be lured into thinking that the West focuses on the freedom that society grants to the individual and accuses Islam of restricting that freedom. But in fact, the West has always accused Islam of rejecting natural freedom (i.e. the freedom with which man is innately born), and labeling it as fatalist for believing in destiny.

I used to think that it was a matter of misunderstanding on the part of some individuals when I read what Mohammed Hassanine Haikal wrote as he quoted the American author Washington Irving. Irving's Life of Mohammed explained in its epilogue the basic rules of Islam such as faith in destiny, to which Haikal responded properly. But I also found Will Durant consecrating this misunderstanding and describing belief in destiny as one of the salient features of Islamic thought[8]. I even found the contemporary British author Abraham Brian accusing the Islamic civilization of fatalism in his writings.[9]

I am not compelled to respond to these misconceptions since the principle of free choice is clearly consecrated in the Quran: [**We showed him the Way: whether he be grateful or ungrateful (rests on his will).**][10] But it is a misconception which must to be dispelled in Western minds, including those of intellectuals, for if it continues to persist, it will have repercussions of social decomposition.

The West continues to accuse Islam of restricting social liberties while Islam continues to accuse the West of excessive laxism which turns individuals into destructive animals. Therefore, the two parties need to meet and delineate the common ground, a possibility that is largely viable.

Third: Correlation between Peace and Justice

The call for an inter-faith dialogue was made on sound and rational bases and set around bringing about mutual understanding, attenuating friction spots and creating areas of sustainable cooperation to serve the human and religious causes and promoting moral values. Through this dialogue, we hope to evolve from an understanding between elites to a generalized culture cherished and adhered to by all peoples in the various fields of civilizational interaction and free from any skepticism and any attempts at ill-intentioned exploitation.

---

(8) ***Story of Civilization***, vol 13, page 5

(9) A series of articles in the ***Economist***, 1994.

(10) *Al Insane*, verse 5.

One of the priorities of dialogue, irrespective of its nature, is to start by identifying common convictions that would act as the guidelines that pave the way, help overcome any bottlenecks that may block the dialogue process, and resolve all sources of conflict.

We believe that innate faith, the one born with man, is one of the commonalities shared by all divine religions:

By innate nature we mean that man is a divine creation in whom divine providence embedded a set of properties, mental capacities and instincts which set him on a normal course of life towards his preordained fulfillment. It also means that religions were aimed to stimulate what lies dormant in the minds of man, as Imam Ali (peace be upon him) said, and to prepare the ground for the release of these capacities, guiding man onto a human course drastically distinct from the behavior of animals that share the same capacities as his.

Natural disposition is what confers cognizance on man, the ability to know himself, the universe and reality, the philosophy of existence and the relation between objects and matters, as part of faith in the principle of causality, the principle of non-contradiction, of bringing two contradictions together, of the simultaneous rejection of contradictions, and other issues. These issues are entrenched in the human psyche and conscience and need no guidance to be reached, at the risk of finding oneself in a dead-end since the evidence itself is dependent upon them. The same mental capacities are used in reflection, in analyzing the abstract nature of things and in transcending the partial to reach the whole, comparing things by analogy to reach new conceptions and the mental ability to plan stages that are still non-existing. This mental capacity is specific to human beings and in it lies the secret of their march towards perfection and evolution.

Instinctive inclinations are what urges man to seek perfection and harness his capacities for this purpose:

One of these inclinations is his quest for perfection, attempting in the process to counterbalance his inadequacies, submit to the Omnipotent, convey gratitude for the many blessings He conferred on him and perform the rites of obedience. These are all inclinations that man finds inherent to his nature although the manifestations and methods differ, and even though at times uncertainties may occult or repress these inclinations.

There is also the instinct of self-love and the desire to fulfill one's ambitions. These inclinations are inherent in man's nature and cannot be bypassed or

extinguished as Marxism once believed, considering it a superficial phenomenon that could be erased from man's life by the simple prohibition of ownership.

Another one is artistic appreciation and joy at the manifestations of beauty that abound in the universe.

We do not intend to revisit all intrinsic elements, but we wish nonetheless to state the following: the conviction that justice is always good and that anything good should be perpetuated is an instinctive truth per se. If man is convinced that a given practice is good, he will also be convinced beyond doubt that it should be perpetuated as an absolute truth. Another absolute truth is the intimate conviction that obeying the ultimate bestower, the true owner of the universe and master of man, is a matter of absolute nature. Some convictions are inherent in man's existence such as justice, honesty, truthfulness compassion, altruism and peace.

These matters are inherently good. In saying 'inherently' we imply that something may happen to strip them of their intrinsic goodness. They may cease to reflect justice and truth to become manifestations of injustice and oppression.

For this we deduce that human instincts are governed by two forms of rules: One is absolute and that is justice itself and obedience of the Wise Creator. The other is relative and conditioned such as truthfulness and peace.

Truthfulness may become in some cases, and as a result of what is attributed to it, a secondary form of injustice and oppression. The same applies to peace when it gives rise to violations of human sanctities. If justice is an absolute value, peace is one that we either strive for as a facet of justice, or reject whenever it involves injustice. But the main question remains: what are the criteria of justice? And how can we be certain of its fulfillment?

All celestial religions concur on certain criteria:

The first one is a worship criterion whereby we benefit from the knowledge of the All-Knowing, Allah (SWT). These are constant religious teachings we believe as emanating emanating from Allah. But before that we acquire certainty of the all-encompassing knowledge of Allah, of His mercy towards man, of His justice, and of the divine attributes of perfection. Allah wishes only good for man, does not betray him and enlightens him on reality.

The second is a spiritual criterion where the reference is man's natural disposition itself.

As a clue which will help us explore this theoretical abstraction, this conviction has always existed within the human environment and therefore exists in all

human beings, irrespective of its subject and regardless of man's individual, collective or social conditions and place. To prove this idea, we can ask anyone "Do you think someone is acting as a human or as an animal when, say, he kills defenseless orphans and old people for entertainment and pleasure?" Such behavior is doubtlessly considered barbaric by any human standards. The Quran, in many occurences, reminds man of his spiritual reflections and natural convictions [**Say: lawful unto you are (all) things good and pure**].(11), leaves it up to man to determine what is lawful and what is sinful: [**The things that my Lord hath indeed forbidden are: shameful deeds,**](12) and considers this human state a 'perversion' of nature: [**Those who forgot Allah, and He made them forget their own souls! Such are the rebellious transgressors!**](13).

Thus, we come to the conclusion that religions believe in the primal nature of man, and that nature decides that justice is an absolute prerequisite and peace an aspiration if it represents a measure and manifestation of justice, hence the emphasis on 'just peace' as a rightful and human perquisite.

World Peace

Security is certainly a natural prerequisite that traces its roots to the most important instinct embedded in man, self-love. This instinct works in harmony with all other instincts to create a balanced evolution towards the fulfillment of man's aspiration to perfection. In fact, the existence of natural impulses is not enough to guarantee alone a balanced progress towards this perfection. It is essential to guarantee propitious conditions for individual self and for the discerning soul to be propelled by the said convictions towards the fulfillment of desired objectives.

To ensure that this innate nature guarantees a safe environment, divine providence has embedded in it the instinct of wisdom, a proclivity for justice, and an aversion from injustice and oppression. It enabled man to identify the paradigms of justice and injustice, paving the way for communion with the divine Creator, expressing devotion and obedience, and opening the door to divine inspiration.

Agreement must therefore be reached on this relationship so as to reach common ground on these paradigms.

---

(11) *Al Maida*, verse 4.
(12) *Al A'raf*, verse 33.
(13) *Al Hashr*, verse 19.5.

Fourth: Civilizational Centrism

It is only natural that Islam, as the seal of all civilizational models sent down by the Creator of humanity out of His mercy, presents itself as the axis or model of human civilization. Islam considers the Muslim Ummah as a role model and as a witness to all humanity: [**Thus, have We made of you an Ummah justly balanced, that ye might be witnesses over the nations, and the Messenger a witness over yourselves.**][(14)]

The West has presented itself as a civilizational axis or model that nations must reckon with, and went even so far as to consider itself history's ultimate goal and its seal, as the American-Japanese thinker Fukoyama advances. Although Samuel Huntington disagreed with him, in terms of methodology by his focus on the thesis of civilizational clash, both concur on the outcome they reach, namely the ultimate triumph of the liberal western civilization over all other civilizations. This same idea was taken up by Brian but through an appeal to the Islamic world to skip certain historical phases, arguing that the Islamic world, in its fifteenth Century AH was at the same juncture where the Western world was in the fifteenth Century AD at the age of the Renaissance to which he attributes the modern West's achievements.

This idea was taken up by Western politicians and leaders with a degree of condescendence and unfair comparison that even stretched to a comparison between the Islamic and Christian religious concepts.

I believe that leaving matters as they stand and comparing these states will be fruitless. Instead, we need to analyze each civilization down to its principles, then compare these principles, using the commonalities in the hope of reaching mutually beneficial results instead of turning in a vicious circle.

Fifth: Universality and Globalization

Each party must be allowed to present its view to this issue. Then we need to agree on basic principles such as accepting plurality, cooperation, and a common world order to serve humanity and avoid squandering resources and potentialities.

Today, three competing doctrine exist: Islam, communism and capitalism. They all have universal orientations and do not draw any distinction between the concepts of globalization and universality. We mentioned Islam as the last message of divine origin aimed to reform humanity and the path chosen by Allah

(14) *Al Baqara*, verse 143.

for humanity's redemption. As such, it focuses on the commonalities shared by all human beings and relies on the logic of dialogue and persuasion. It also presents itself as the only path to humanity's salvation. To achieve its goals, Islam used the process of individual and collective change. It sought to cancel boundaries of geography, color and language and to create a universal society governed by one law; one that shares the same sentiments and human objectives. This universality is apparent in many Islamic texts such as the divine verse: [**Say (O Muhammad): "O mankind! Verily, I am an apostle of God to all of you**][15], and also: [**Hence, (be patient,) even though they who are bent on denying the truth would all but kill thee with their eyes whenever they hear this reminder, and (though) they say, "(As for Muhammad,) behold, most surely he is a madman! Be patient: for this is nought else but a reminder (from God) to all mankind.**][16]

There are many other texts that confirm the universality of Islam since its first emergence, contrary to the claims of some orientalists and historians according to whom this universality occurred gradually before it ultimately took full shape.

Islam, a universal religion since its emergence, confirms the consistency of the Islamic logic, approach and objective. That is the viewpoint of Islam. When communism proposed its philosophical take on history it also addressed the issue of historical materialism and the various famous episodes whereby humanity moved from slavery to feudalism, to commercial capitalism, industrial capitalism, socialism and from there to communism within a process governed by such dynamics as the conflict of social opposites. This perception has given socialism its universal aspect in the sense that it triggered a universal human mutation. It is clear that for its own purposes, socialism adopted the class struggle, revolution, and the socialist iron regime which supposedly leads society to the communism heaven imagined by socialists[17]. This vision failed to assert itself, whether in theory or in practice.

Capitalism, on the other hand, started with no ideological bases and gave no importance to such considerations. Its sole concern was to organize life on the basis of individual freedom. When it first appeared, and faced by the popularity of its antithesis, it borrowed the slogans of communism and replaced them with their opposites. Social justice was replaced by human rights and economic development by the principle of free market and wealth production. It also took

(15) *Al A'raf*, verse 158.

(16) *Al Qalam*, verses 51 and 52.

(17) For detailed information on this, cf. research by Ash-Shahid As-Sadr in his book '***Our Economy***', pp. 53-238.

the slogan of proletarian nationalism and replaced it with capitalist globalization. It started as a local phenomenon focusing its expansion on the West and only proposed itself as a global phenomenon when the conditions were ripe for such mutation.

Sixth: Social globalization and problems related to demograpgy and development

One can observe some of the premises governing Western social thought, the ultimate controlling hand in the drafting of international documents such as the Cairo Declaration, the Copenhagen Declaration, the Beijing Declaration and many others, such as:

- **First:** Maltus's theory which says that human growth rates are faster than the normal growth rate of natural resources:
- **Second:** no obstacles should hinder the free response to sexual instincts as this may result in frustration and rebellion and contradicts respect for human rights.
- **Third:** lack of faith in the so-called human or social moral values. The presence of such values within society is even thought to hinder the global response to Western culture. As such, they must be socially obliterated so people can open up before the global cultural invasion and the imposition of western perspectives not only on minds but also on social laws in civil fields. According to these laws, considered as a channel for introducing the spirit of human rights into the legal fields, the West is the so-called custodian of these human rights. This actually represents the most dangerous phase of this onslaught.
- **Fourth:** the secularist spirit with which the West confronted the church authority and broke free from it to embrace the material aspect and build a civilization that associates these secular tendencies with scientific progress. This has led the West to consider this approach as optimal for application throughout the world, engendering, in the process, sensitivity towards anything religious or related to religion. With these and similar considerations, this ominous scheme adopted the following principles:
  1- Supporting total emancipation from religious constraints in the family and social contexts.
  2- Reducing demographic growth through by all means available, including abortion.
  3- Imposing western human rights concepts in the intellectual, labor and legal fields.

4. Affirming the notion of social globalization and the interference of the United Nations in peoples cultures and social structures. Islam does not recognize any of these premises. The Holy Quran affirms that Allah (SWT) placed in nature all that man needs, a truth instinctively perceived by man as he observes the harmony of the universe.

This problem is due to man's unfair distribution of natural resources and to his denial of the blessings bestowed by Allah: [**And [always] does He give you something out of what you may be asking of Him; and should you try to count God's blessings, you could never compute them. [And yet,] behold, man is indeed most persistent in wrongdoing, stubbornly ingrate!**](18)

Instincts are also blind impulses that were embedded in man to ensure his evolution. But this evolution is guided by reason and a realistic legislative planning so that whims do not proceed, unbridled, to become raving storms that wreak havoc with man's existence. Belief in moral values springs from belief in Allah (SWT) and is conditioned by human instinct and pathos. Whoever seeks options other than this one undermines the rights of humanity and leads it to heedless hedonism: [**they are like cattle -nay, they are even less conscious of the right way!**](19)

Finally, Islam is the religion of harmonious life. No life can be organized in its absence. Secularity is categorically rejected and so is the outcome adopted by those who uphold it.

There remains another important issue to be addressed here. Some legitimate alternatives exist and can be considered rather than rejected outright. Family planning is noted and allowed by Islam and even imposed if justified by social circumstances, as in the case of emergencies. If demographic growth constitutes a threat to a region and to its development because of factors over which the Islamic State has no control, rulers may order birth control, just as individuals can decide to control demography in the interest of all. Parents are free to decide on the means of birth control but must remain within the limits of legitimate means. Abortion is certainly not one of these and is only allowed in rare situations where the pregnancy presents a threat to the mother's life or when the fœtus develops an incurable disease.

Human rights in their true sense are guaranteed by Islam which ensures their enjoyment by all within a sound and realistic framework.

(18) *Ibrahim*, verse 34.
(19) *Al A'raf*, verse 179.

Islam has its own concept of globalization. It is based on the human nature shared by all humanity and which cannot be erased, although its effects may sometimes surge and sometimes wane. At all events, we need to tread carefully with these proposals to avoid being inflicted by their negative aspects and losing their positive ones.

As for education for both genders, it is inconceivable that Islam could have a reservation about education. Islam is the religion of knowledge that advocates learning at any stage of life. Muslims have no objection as to man's learning about his individual and collective rights or his right to seek and find the truth. The problem lies in the manipulation of education to serve agendas that are far from noble. Islam rises against such exploitation.

Educating people on sexuality and sexual relations and their consequences is admissible as a means of avoiding the pitfalls that might arise from ignoring these facts, planning for wise satisfaction, fulfilling the human mission of procreation and ensuring the continuity of the human race to people the earth, edify a virtuous society and organize social relations, while at the same time satisfying sexual desires and enjoying life.

All of this is natural and it is normal for Islam to enjoin it and encourage it. The danger, however, lies in its exploitation as it affects a highly sensitive aspect of life, especially for young people, hence the need for caution. This is why sexual education should be dispensed at the right age and under parental supervision to avoid calamitous consequences on the individual, the community, the body or the soul. A solid plan is needed to impart the information needed by our boys and girls in this regard, which information is currently scattered in the chapters of many Islamic fiqh books, such as those on tahara, sexual intercourse, sanctions and others.

To black out the issue under the pretext of pudicity and respect for privacy is to a certain extent normal, but it should not prevent sharing information and thus expose young people to this sin and worry.

Concerning abortion, it is allowed by the national laws of some countries. An opposite trend is led by the Church which prohibits all types of abortion and even the use of contraceptives and other devices for birth control, except for monthly planning to identify the period that is least favorable to fertilization.

There is also the moderate Islamic approach which prohibits abortion as from the fertilization of the egg but does not prevent the use of methods likely to prevent pregnancy such as the practice of coitus interruptus allowed by the Prophet (PBUH)

for his companions. It also does not prohibit abortion if the life of the mother is endangered beyond doubt or the foetus suffers an incurable disease.

At all events, abortion should not be encouraged in any way and cannot be considered as a means of birth control.

But if this process is allowed by religious laws, it must be conducted in the proper and safest way. Islam clearly bans recourse to this option if the mother simply does not want to have more children or because of some economic or social implications.

A foetus, regardless of the way in which it was conceived (even within an extra-marital relation) is a human being blessed with the right to life. Its existence must not be undermined and all conditions for its growth and birth as a healthy baby must be respected.

Two issues remain:

1. **The issue of youth:** young people, by their very dynamic nature, experience many transformations and upheavals in life. Typical to them are some behavioral patterns in which they indulge sometimes and for which they find no outlet in society such as sexual problems, the issue of marriage, the thirst for emancipation from all constraints, revolt against traditions, confusion and worry, the rites of passage from childhood to adulthood and education-related problems.

   These demands require wise reactions on our part through field studies, free and friendly meetings, occupying youth at all times with positive activities, far from violent environments, debauchery and rebellion. We need to provide opportunities for positive alternatives instead of repressing psychological frustrations, preach good morals with wise words and gentle reasoning as opposed to repressive methods, and provide answers to their questions.

2. **The issue of women:** women also have issues specific to them. These consist in social problems that may undermine marriage such as divorce, weakness in the face of violent circumstances such as wars and displacements, and other prejudicial traditions and problems related to entering the social, administrative, political and educational arena. We need to identify these problem areas, provide suitable solutions inspired by authentic Islamic solutions, and reject all forms of despicable radicalism that deprive women from their human and Islamic rights and prevent them from taking a dynamic part in the human civilizational process, as did other great women who left their imprint on history.

Women represent a tremendous force that we must not underestimate or leave to degenerate. Instead, we need to harness this resource to better serve humanity.

Seventh: Democracy

Western liberalism grants all powers to people. It is up to the people to decide who rules them. But western democracy mutates into mere nominal rights in many cases when money, fraud and interest alliances become the game of the day.

Islam, on the other hand, considers that religion, as sent to man by his Creator, decide the kind of intervention man can adopt in terms of regulating and appointing government. In light of this principle, Islam has:

1- Treated man's basic needs with constant rules that cannot be changed. Some of their applications may differ according to time and space considerations and to interpretations (e.g. the methods of applying social *takaful* differ from one society to another).

2- Enabled Muslim rulers to consult the Ummah on matters of public interest that are subject to change and accommodate these changes in the best way possible and within the limits of what is allowed.

3- Determined the criteria of electing executive officials at all levels. Thus, Islamic governance can be described as the rule of the people within a religious context.

There are then many possible points of convergence between Islam and Western democracy.

Eight: Secularity

This concept saw light on Western grounds and was the result of conflicts between champions of liberalism and Church radicalism. These conflicts culminated in the almost total isolation of the Church from social life, and the ensuing separation between the spheres of religion and public life.

But the nature of Islam, its teachings on life, its definition of governance style and its rational applications are at odds with this idea and we see no possibility of agreement on this point.

Ninth: Human Rights

There is no major difference in the concept and type of limitations that should govern these rights to make them reasonable. But there is a difference in certain aspects such as the source of these rights. Is it man who decides these rights, their limits and criteria? In this case what counts is man's jurisprudence.

Or is it Allah, man's Creator Who bestows these rights on the created being then determines the limitations? Such limitations would guarantee that enjoying these rights brings about man's social fulfillment and does not disrupt the vital balance since any right has two aspects: man's own right and the rights of others.

In any event, believing in the theory of man's innate nature is necessary for belief in human rights. A human being entitled to rights is the one who exists with natural traits and features that are born with him and remain with him as long as he behaves as a human being. If he turns into a monster, he loses all these rights: [**And be not like those who are oblivious of God, and whom He therefore causes to be oblivious of [what is good for] their own selves: [for] it is they, they who are truly depraved!**][(20)] If we do not believe in the innate nature of man, we lose the parameters of identifying these rights. Perhaps those who wrote the Universal Declaration of Human Rights were unconsciously inspired by this principle when they decided to define, in the Declaration's preamble the personal entitlement to freedom, justice and peace. Although there is a substantial difference between the West and Islam in determining these rights, this does not mean that a great deal of common ground cannot be reached when we compare the Universal Declaration on Human Rights with the Universal Islamic Declaration of Human Rights.[(21)]

Tenth: Support to Zionism

Enmity between the Zionist movement and the Islamic Ummah has become so fierce these days and is becoming further entrenched as a result of the racist nature and criminal proclivities of Zionists. Here we are, after one century of onslaughts on the internationally recognized rights of Muslims. The violations of the Zionist enemy have undermined, in the most shameful manner, dozens if not hundreds of UN resolutions.

Yet, we see the West, with the United States leading the pack, supporting this Zionism in all ways, ignoring its own slogans on the protection of human rights, and going so far as to consider Zionism the most advanced democratic system appropriate for the third world.

Thus, by its unfair deeds, the West confirms the many lies it purports about its presumed protection of the rights of children. It adopts double standards, fueling the anger and hatred of the Islamic world and the anger of any human being who respects his humanity.

Many have tried to find this common ground but all these attempts have failed because of racism, hostility and Zionism.

---

(20) **Al Hashr**, verse 19.

(21) Cf. our book on '***On Islamic Constitution***', page 157.

L'ISLAM AUJOURD'HUI

Revue périodique de l'Organisation islamique pour l'Education, les Sciences et la Culture -ISESCO-

Publiée en trois langues : l'arabe, l'anglais et le français

N° 26 - 26e année

1430H / 2009

Les ingrédients du terrorisme et les mécanismes de résistance

Sheikh Mohamed Ali Taskhiri(*)

I. Définition du terrorisme

Le terrorisme est toute action hostile incompatible, de par le moyen ou l'objectif, avec les valeurs religieuses et naturelles et les lois humaines générales, et constitue de ce fait une menace à la sécurité, quelle qu'en soit la forme.

Rappelons, à titre de clarification, les points suivants :

1. Nous utilisons le terme à connotation humaine plutôt que le terme international afin d'obtenir le consensus officiel et, partant, nous assurer de l'appui du jugement général.
2. Nous avons constaté le double facteur de moyen et de but.
3. Allusion a été faite aux types de terrorisme par l'expression : "La sécurité, toutes formes confondues".
4. Les critères religieux et humains ont été conjugués ensemble pour assurer la cohésion avec notre foi d'abord, et généraliser ensuite la dimension humaine ;
5. On peut constater, ce faisant, que la violence proprement dite de l'opération n'est pas nécessairement une condition d'affirmation de la qualité de terrorisme ;
6. C'est la qualité d'hostilité qui est au centre de la définition, car c'est là que réside le phénomène de dénonciation.

Nous pouvons donc, à la faveur de cette définition, identifier les caractéristiques du terrorisme qui s'appliquent à l'une ou l'autre action. Ceci nous permettra de nous assurer que cette caractéristique ne s'applique pas aux domaines suivants :

(*) Secrétaire général de l'Académie mondiale du Rapprochement entre les Madhahib, Téhéran, République islamique d'Iran.

a. Les seules activités de résistance contre les envahisseurs et colonialistes ;

b. La lutte des peuples contre ceux qui leur sont imposés par le feu et le fer ;

c. Le rejet des dictatures et des différentes formes de tyrannie ;

d. La lutte contre les idées inhumaines, telles le nazisme et le racisme ;

e. Répondre à toute agression par la réciprocité, s'il n'y a pas d'autre alternative ;

f. La lutte justifiée, dans le respect des règles morales et principes humains, tels que nos oulémas nous les ont enseignés.

Elle ne s'applique pas non plus à tout mouvement pacifique non accompagné de terrorisme, même qu'il ne vise pas un objectif humain.

Pas plus qu'elle ne s'applique aux actions destructrices individuelles sans impact social.

Ces actions ne sont certainement pas des activités terroristes, quand bien même elles sont dénoncées.

Cette définition s'applique, cependant, à ce qui suit :

a. Les actes de piraterie aérienne, maritime et terrestre ;

b. Toutes sortes d'opérations colonialistes, y compris les guerres et les campagnes militaires ;

c. Toute action dictatoriale dirigée contre les peuples, ainsi que toutes formes de protection aux dictatures imposées aux peuples ;

d. Toutes les méthodes militaires contraires aux principes humains, telles que l'utilisation des armes chimiques, nucléaires et biologiques, le bombardement des zones habitées, la destruction des maisons, la déportation des civils, etc. ;

e. Toute pollution du milieu géographique, culturel et médiatique, le terrorisme intellectuel étant vraisemblablement la forme la plus dangereuse du terrorisme ;

f. Toute action de nature à bouleverser l'économie internationale ou nationale, à affecter les nécessiteux et les démunis, à accroître l'écart social et économique et à ployer les peuples sous le fardeau des dettes ;

g. Toute manœuvre visant à anéantir la volonté des peuples à se libérer et à leur imposer des alliances ignominieuses.

On peut multiplier à l'infini, ainsi, les exemples sur la crédibilité de cette définition.

II. L'échec général des nombreuses manifestations et initiatives prises pour combattre le terrorisme est dû aux raisons suivantes :

- Elles n'ont pas été réalisées sur des bases humaines, car elles étaient orientées surtout vers la satisfaction d'intérêts étroits ;
- Elles ne se sont pas penchées sur les circonstances et les causes qui suscitent le terrorisme ;

Il est, à l'évidence, illogique de combattre les conséquences tout en délaissant les véritables causes.

III. La guerre menée contre ce phénomène dangereux a été vouée à l'échec parce qu'elle s'est amorcée sous la conduite d'un leadership rendu célèbre par un sombre passé empreint de terrorisme et d'assujettissement des peuples par tous les moyens, y compris la guerre déclarée, et qui ont conduit en ces temps modernes des dizaines de guerres, voire des centaines, afin d'imposer son hégémonie et ses concepts

Ajoutons à cela que ledit leadership ne s'est point soucié du droit international, adoptant des slogans par essence incompatibles avec ce droit, tels que "la suprématie absolue" et la "guerre anticipée", entre autres… Et de s'ériger ensuite à la fois comme partie civile, juge et policier exécutif, ce qui est en contradiction totale avec les règles les plus élémentaires de la justice.

IV. Ce leadership a commis l'erreur de se focaliser sur l'Islam, qu'il considère l'ennemi imaginaire. Des stratégies ont été élaborées pour le combattre ainsi qu'un plan de grande envergure comportant, notamment, les éléments suivants :

1. Semer le doute sur les valeurs et concepts de la civilisation islamique. Nombreux sont les exemples qui attestent de cette prise de position occidentale, tels que la prééminence de la civilisation occidentale sur la civilisation islamique selon un responsable italien, la primauté de la religion chrétienne sur la religion musulmane par rapport aux attributs de Dieu, la campagne ourdie contre les concepts du djihad ou encore la perception de l'Islam à l'égard des droits de la femme, etc.

2. Intensifier le ressentiment et l'hostilité occidentale envers l'Islam et tout ce qui est islamique, l'agression des mosquées et centres islamiques, le harcèlement des minorités musulmanes, allant jusqu'à accuser des pays qui leur étaient traditionnellement amis tout en interdisant l'immigration, même légale, en dépit du besoin des immigrés en Europe.

3. Attaquer aveuglément certains peuples islamiques sous prétexte qu'ils abritent des terroristes. C'est ce qui est arrivé aux deux pays martyrisés que sont l'Afghanistan et l'Irak. Cette menace pèse aussi sur d'autres peuples ;

4. Accuser certains pays d'être l'axe du mal et les menacer à chaque instant. Certaines sphères semi-officielles ont même menacé de frapper ces pays de l'arme nucléaire ;

5. Le plan prévoit également une campagne médiatique et policière contre les instances financières islamiques et les fondations caritatives et prédicatrices, tout en pressant les pays concernés à fermer lesdites institutions ;

6. Selon ce plan, les institutions éducatives islamiques doivent être maîtrisées et dépouillées de leur indépendance. Par ailleurs, l'Occident pousse l'effronterie jusqu'à demander aux pays islamiques de modifier leurs curriculums scolaires afin qu'ils concordent avec la vision occidentale.

7. Des mesures sont constatées visant à marginaliser le rôle des institutions islamiques internationales.

8. Intensifier la campagne amorcée par l'Occident lui-même, ou à travers ses agents par des actions visant à disséminer les valeurs immorales et libertines, à pervertir les mœurs, à dénigrer les choses sacrées, à affaiblir la langue arabe et à propager les dialectes, à combattre le caractère arabe (comme c'est le cas en Asie Centrale), à répandre le laïcisme, à approfondir les dissensions entre les pays islamiques, à lutter contre le facteur de l'ijtihad (effort d'interprétation des textes coraniques), à semer le doute sur la compatibilité de l'Islam avec les temps contemporains, et la nécessité d'appliquer les valeurs occidentales, etc.

9. Mais le plus important reste les efforts visant à boucler par tous les moyens les dossiers épineux et sensibles, en particulier celui d'Al-Qods. c'est ainsi que les USA ont donné le feu vert à Sharon pour qu'il procède à "sa solution finale". Celui-ci, saisissant l'opportunité engendrée par les événements du moment, inscrivit son opération contre les Palestiniens dans la troisième phase de la guerre contre le terrorisme. Il a entrepris, dans cette perspective, ce que l'humanité tout entière a reprouvé, appuyé franchement et ignominieusement dans son action par les USA. L'Occident avait alors oublié, dans l'Histoire qu'il

a écrite, les pages sur la mobilisation de la résistance contre le fascisme et le nazisme ; de même qu'il a oublié ses slogans sur la liberté, la démocratie, les droits de l'homme et la légalité internationale. A telle enseigne que même les Nations Unies n'ont pu enquêté sur les crimes de l'ennemi sioniste dans le camp de Jénine, malgré la résolution prise en ce sens, alors que ces crimes sont apparents, bien documentés et attestés par des personnalités internationales.

V. Il serait superflu de parler du rôle de l'Islam dans la concrétisation de la sécurité de l'individu, maintenant que l'on sait qu'il récuse la tyrannie quelle qu'en soit la forme. L'Islam met tout en œuvre pour assurer la sécurité morale et éducative «C'est Lui qui a envoyé à des gens sans Livre (les Arabes) un Messager des leurs qui leur récite Ses versets, les purifie»[1]. C'est lui qui rejette tout ce qui est de nature à polluer l'atmosphère humaine en interdisant les actions immorales qui détruisent l'humanisme de l'être humain.

C'est également lui, l'Islam, qui assure la sécurité sociale en veillant à la solidité de l'édifice familial et à la suppression de tout ce qui est susceptible d'orienter les instincts vers la dissolution des mœurs et la satisfaction des appétits aberrants, à travers la mise en place d'un code des relations sociales nobles, rédhibitoire à tous les facteurs matériels susceptibles de déchirer la Oumma, notamment la couleur, la langue, l'ethnie, la tribu ou le lieu géographique. L'Islam garantit, en outre, tous les droits de l'homme à l'existence, à la dignité et la liberté, ainsi que sa sécurité sociale et économique. Par contre, il rejette tous les facteurs destructeurs, tels l'avarice, la colère, le détournement de fonds, la concentration de la fortune, le gaspillage, la belligérance, l'injustice, le meurtre, etc. Il garantit, en outre, la participation populaire politique à travers le principe de la Choura (consultation) et de la gouvernance alternative, ainsi que la responsabilisation collective. Il est inutile d'en poursuivre l'énumération, d'autant qu'elle est on ne peut plus claire.

Sur le plan civilisationnel, l'Islam œuvre à la concrétisation de la sécurité et de la paix juste pour l'ensemble de l'humanité. Et quand bien même il se trouve en guerre, cette guerre sera propre, la cible étant les agresseurs et non les innocents qui demeureront en dehors du champ de bataille. Même l'environnement sera protégé et en sécurité.

(1) Sourate Al-Joumou'a, verset 2.

Le Prophète (PSL) recommande : **«Allez, au nom de Dieu, avec Dieu, pour la cause de Dieu et sur le sentier de Dieu. Ne renchérissez pas, n'infligez pas de châtiment, n'agissez pas perfidement, ne tuez ni les vieillards, ni les enfants ni les femmes. Et ne coupez l'arbre que si vous y êtes contraints»**[2].

La sécurité de l'environnement, de la faune et de la flore est intrinsèque au contexte de l'Islam, et il ne fait aucun doute que la règle de "ni préjudice ni inconvénient en Islam" est une règle générale destinée à freiner toute velléité préjudiciable à l'environnement. En effet, l'Islam met la nature à la disposition de l'être humain, ce qui implique que tout préjudice porté à l'environnement est préjudiciable à l'ensemble de l'humanité. Aussi l'être humain doit-il remercier la nature pour les bienfaits qu'elle lui procure. **«Il vous a accordé de tout ce que vous Lui avez demandé. Et si vous comptiez les bienfaits d'Allah, vous ne sauriez les dénombrer. L'homme est vraiment très injuste, très ingrat»**[3]**.**

On peut même entretenir des relations affectueuses entre le musulman et la nature. Le Prophète, traversant un mont, n'a-t-il pas dit : **«Ceci est un mont qui nous aime et que nous aimons»**[4]. Le musulman continuera donc de s'attacher indéfectiblement à la promesse divine, par laquelle le Tout Puissant dit : **«Allah a promis à ceux d'entre vous qui ont cru et fait les bonnes oeuvres qu'Il leur donnerait la succession sur terre comme Il l'a donnée à ceux qui les ont précédés. Il donnerait force et suprématie à leur religion qu'il a agréée pour eux. Il leur changerait leur ancienne peur en sécurité. Ils M'adorent et ne M'associent rien et celui qui mécroit par la suite, ce sont ceux-là les pervers»**[5].

La société croyante qui s'en est suivie s'appuie sur le fondement de la sécurité face à l'ennemi, tant exogène qu'endogène. Et si ce fût l'objectif ciblé par les prophètes, cet objectif s'est réalisé : adoration et sécurité face au despotisme.

Mais si l'on essaie de définir le terrorisme selon la logique humaine générale, à savoir, "toute action hostile incompatible, de par le moyen ou l'objectif, avec les valeurs humaines, et constitue de ce fait une menace à la sécurité, quelle qu'en soit la forme", nous trouverons que l'Islam s'oppose vigoureusement au terrorisme et met tout en œuvre pour extirper ses racines.

---

(2) Kenz al-'Ummal, Vol. 4, p. 333 et Al-Kafi, Vol. 5, p. 27, et autres.

(3) Sourate Ibrahim ; 34.

(4) Rapporté par Muslim en ces termes : «Ouhoud est un mont qui nous aime et que nous aimons».

(5) An-Nour ; 55.

VI. Il est normal de dire que nous ne pouvons supprimer les effets tout en conservant les causes. Or, justement, la plupart des causes du terrorisme sont imputables, entre autres, aux facteurs suivants

a. Extension de l'ignorance, la rancœur, le désespoir, le radicalisme aveugle, le regard obscurantiste et l'indifférence vis-à-vis des aspects positifs, y compris celui de l'islamophobie, ainsi que l'hostilité envers tout ce qui est occidental ;

b. Propagation de la pauvreté, de la faim et de la privation, la pauvreté étant en soi un facteur qui frise l'impiété ;

c. Dissémination de facteurs tels que l'injustice, la colonisation, le pillage des moyens des peuples, la tyrannie, la rancœur, la violence, l'usurpation des droits de l'homme et de ses libertés légitimes, et le sentiment d'inhibition suscité par le dépouillement de l'individu de sa liberté d'expression et l'explosion sociale qui s'en suit ;

d. Désagrégation de la barrière morale et régression des valeurs, associée à l'expansion du niveau de la bestialité aveugle, ce qui explique la perte chez les terroristes des sentiments humains les plus élémentaires ; ceci nous amène à dire que le terrorisme n'a point de religion, car la religion met particulièrement l'accent sur la miséricorde ;

e. Diffusion d'idées hostiles à l'humanité, telles que le nazisme, le fascisme, le sionisme, le racisme, la suprématie, l'athéisme, etc.

Pour mettre fin à ces causes ou atténuer leurs conséquences, il faut que des plans spécifiques soient élaborés, au niveau mondial, sinon le terrorisme se poursuivra.

Il est des pays puissants dont l'histoire est étroitement liée aux guerres, destructions et terrorisme et qui, paradoxalement, placent le terrorisme à la tête des fléaux à combattre. Or ces pays, même dans la guerre contre le terrorisme qui leur ait imposé, ne cessent de perpétuer les pires formes de terrorisme et de soutenir des régimes terroristes fascistes, tel le régime sioniste terroriste, dans toute l'acception du terme.

VII. Nous avons évoqué, dans des forums similaires, la nécessité qu'une action soit entreprise tant sur le plan mondial qu'islamique.

Position proposée sur le plan mondial :

Pour combattre le terrorisme sous toutes ses formes, ainsi que dans sa teneur et ses racines, il est nécessaire que l'Organisation des Nations Unies

adopte ce projet. Ce sera une première mesure stratégique dans la mesure où des mécanismes appropriés sont mis en place afin d'empêcher les grandes puissances d'exploiter le projet dans leurs propres intérêts et d'exercer des pressions sur l'ONU pour l'amener à suivre leur sillage et leurs objectifs propres. Ainsi, l'ONU peut devenir le référentiel mondial de la campagne globale contre le terrorisme et, par extension, à instaurer une paix équitable sur la terre. A notre sens, cette campagne doit intégrer les facteurs suivants :

1. Assurer l'égalité entre les Etats membres de l'ONU sur le plan des droits et des obligations, prohibant toute hégémonie d'un ou de plusieurs pays sur ses résolutions, en particulier sur les mécanismes iniques à travers lesquels le Conseil de Sécurité formule ses décisions. Ce sont justement ces mécanismes qui ont motivé la poursuite du terrorisme dans plus d'une zone, notamment en Palestine. S'agissant de cette dernière, en effet, les USA ont plus d'une dizaine de fois usé de leur droit de veto pour bloquer les décisions du Conseil de Sécurité destinées à mettre fin au terrorisme sioniste ;

2. Délivrer de l'injustice le peuple palestinien et les peuples des pays voisins qui sont exposés aux agressions et au terrorisme de l'entité sioniste ;

3. Mettre au point un mécanisme prohibant tout soutien des grandes puissances aux organisations et entités dictatoriales et racistes, ainsi qu'aux organisations et groupes terroristes ;

4. Lutter contre la pauvreté, l'ignorance, le fanatisme absolu, les épidémies, le sous-développement, les maladies urbaines modernes, ainsi que les médias et les arts qui encouragent la violence et le racisme et abâtardissent les valeurs morales universelles, car ces facteurs constituent un terrain naturel pour le développement des conflits terroristes.

Il faut, pour y remédier :

a. Vulgariser la logique du dialogue entre les civilisations et les religions ;

b. Favoriser une démocratie qui soit en harmonie avec les valeurs ;

c. Aider à la mise en œuvre des programmes de développement dans le monde ;

d. Renforcer les organisations internationales avec la suppression des facteurs hégémoniques qu'elles comportent ;

e. Rehausser le niveau moral et les valeurs éthiques en y consolidant le rôle que joue la religion dans ce contexte, tout en observant le rôle de la famille dans le processus d'édification de la société ;

f. Faire en sorte que l'information serve l'humanité ;

g. Humaniser l'art et l'employer dans l'intérêt des objectifs suprêmes ;

5. Empêcher l'exploitation par les grandes puissances occidentales des événements et leur transformation en conflits civilisationnels et guerres interreligieuses ou en règlement de comptes avec certaines organisations au détriment des peuples ;

6. Alléger les souffrances des peuples afghans et irakiens et leur apporter l'aide alimentaire, vestimentaire et médicale, œuvrer au retrait définitif des forces américaines et autres et rendre la gouvernance à ses propriétaires ;

7. Poursuivre, intensifier et approfondir le dialogue avec les sages, toutes religions, civilisations et doctrines confondues, l'objectif étant de susciter une opinion mondiale qui s'impliquera dans la diffusion de la justice, de la paix et de la fraternité entre tous les peuples de la terre.

Cette paix, dont toute l'humanité est devenue le chantre, est la paix juste où règne l'égalité des opportunités et des droits, où l'opprimé retrouve ses droits, où l'agresseur est puni. On peut extirper les racines de la violence et du terrorisme grâce à la paix juste. Une paix imposée et injuste est comme une surface refroidie en dessous de laquelle le feu continue de bouillonner : en effet, la victime ne peut être considérée à pied d'égalité avec son tortionnaire qui le prive de ses droits et lui impose la politique du fait accompli. Autrement, la spirale de la violence reprendra, plus férocement et avec plus d'intensité. C'est justement cette paix inéquitable qui est la cause des problèmes et des crises pérennes que l'on rencontre dans bon nombre d'endroits sur la terre.

8. Le dialogue constructif et tirer avantage, d'abord du dialogue interreligieux et, ensuite, du dialogue entre l'Islam et l'Occident pour redresser l'image de l'Islam chez l'autre.

Les religions d'Abraham se partagent, en effet, bon nombre de points communs entre elles, notamment :

- Toutes trois s'articulent autour de l'adoration de Dieu et du refus de l'injustice et du despotisme. Comme affirme l'auteur de l'ouvrage **«la Civilisation Islamo Chrétienne»** pour défendre la civilisation islamo-chrétienne, une thèse a été proposée pour faire pendant à celle du "choc des civilisations". L'auteur de cette thèse met l'accent sur les contributions communes des deux civilisations dans la marche de l'humanité. Il souligne que l'écart temporel et les conflits incessants entre

elles n'empêchent pas nécessairement leur cohésion civilisationnelle. Même l'écart matériel qui les a séparé entre 1600 et 1900 retrouve son équilibre avec la croissance démographique du monde islamique de 50% contre 20%. Et l'auteur de conclure :

«Vue dans une perspective historique comme une seule entité, les facteurs qui unissent le monde islamo-chrétien sont supérieurs à ceux qui les séparent. On ne peut pleinement comprendre le passé ou le futur de l'Occident qu'en appréciant la relation gémellaire qui l'a relié à l'Islam tout au long des quatorze siècles passés. Mais cela s'applique aussi au monde islamique. Dans le contexte intellectuel contemporain, la question de la civilisation islamo-chrétienne à travers le temps, en tant que principe organique, s'est enracinée dans la réalité historique au cours de tous ces siècles. Il serait bon que les historiens de la civilisation, tant occidentale qu'islamique, prennent en considération cette réalité pour peu qu'ils soient disposés à modifier leurs opinions. La civilisation islamo-chrétienne est un concept qui nous est nécessaire si l'on veut parer à toute tragédie car sa compréhension s'inscrit dans la perspective historique de l'assimilation et de la solidarité sociale et religieuse.(6)

Le traducteur de ce texte, Mahmud Haddad, souligne que «la thèse de Huntington n'a pas obtenu l'acquiescement général et beaucoup de gens cultivés se sont écartés de cette ligne pour déclarer que le dialogue des religions et des civilisations est un impératif. Ils mettent l'accent sur la nécessité de coexister, non de se battre, quand bien même le livre admet que l'Islam et le Christianisme constituent, sur le plan social, une seule et même civilisation.»(7)

Ce livre est cependant digne d'intérêt en dépit de quelques points de discordance.

Mais il n'en reste pas moins que le dialogue avec l'Occident sera très utile.

Je crois en le dialogue avec l'autre, en ce sens que le dialogue s'inscrit dans une logique saine et humaniste. Les musulmans doivent dialoguer avec les détenteurs de la pensée occidentale afin de déconstruire les concepts réfractaires qui se sont établis et qui sont, dans beaucoup de cas, des terrains propices au terrorisme.

(6) Richard Bulliet, La civilisation Islamo chrétienne, traduit par Mohamed Haddad, Dar Annachr, Beyrouth, 2005.

(7) Ibid.

Beaucoup d'auteurs et de penseurs ont lancé des appels similaires. A titre d'exemple, Ahmida Mamûn al-Nafir se demande : **«Est-il possible de sortir de l'étau qui réduit les composants des notions de la masse, considérées comme centre de production, alors que les autres centres sont considérés comme marginaux et domaines récipiendaires. En effet, le problème réside dans la conception de la marginalité de l'autre et de l'égocentrisme.»**

En réalité, les cumuls de l'histoire influent profondément sur le type de relations entre les musulmans et l'Occident.

La vision de l'Occident envers l'Islam s'est développée au cours de longues étapes historiques, d'une part selon les orientalistes, les penseurs, les chercheurs et les politiciens occidentaux et, d'autre part, selon les circonstances et les contextes, qu'ils soient méthodologiques et religieux ou intellectuels et politiques. Mais en dépit de sa multiplicité, cette vision s'accorde souvent avec un certain nombre de principes qui se sont édifiés et complétés avec le temps, jusqu'à devenir représentatifs de la prise de conscience de l'Occident envers l'autre. Il s'agit, en réalité, de la prise de conscience de l'Occident envers lui-même, et c'est dans le cadre de cette même prise de conscience que l'Occident s'est arrogé le droit de s'établir en tant que "réalité", "pouvoir", "centre", "cerveau" et "progrès", concédant à l'autre celui de "représentation", de "faiblesse", de "démence" et de "sous-développement". L'Occident a ainsi exercé cette approche tantôt sous forme d'invasion militaire et de dominance économique, tantôt sous forme d'hégémonie culturelle et politique et au moyen de la guerre psychologique et médiatique.

Parmi les principales idées proposées en Occident dans les années 90, citons celle du penseur anglais Bedham Bryan qu'il exposa dans une série d'articles publiés dans the Economist en 1994. Cette idée n'a pas eu l'écho qu'ont suscité les théories de Huntington dans le "Choc des civilisations" ou de Fukuyama dans "La fin de l'histoire", bien qu'elle soit digne d'intérêt quant à la relation de l'Occident avec l'Islam. La théorie de Bryan dévoile, en réalité, le genre de stratégie adoptée par l'Occident dans ses relations avec le monde islamique, en particulier celles afférentes au contexte de la présence islamique effective dans le processus civilisationnel humain.

La théorie islamique de l'Occident s'est cristallisée, en revanche, à la faveur des connaissances et expériences cumulées à travers l'histoire, ce qui a amené certains à considérer impossible toute symbiose entre eux compte tenu de l'absence de points communs.

Nous estimons, quant à nous -contrairement à certaines opinions quelque peu radicales- qu'il existe bon nombre de points communs qui favorisent notre rencontre et l'unification de nos positions, en particulier grâce à la présence d'une catégorie équitable qui adopte une attitude humaniste, étant sensibilisée par la logique de la démarche. Il existe dans le monde occidental pléthore d'exemple où les individus sont prêts à soutenir les questions arabo-islamiques, et ce, jusqu'au sacrifice de soi-même.

C'est donc avec cet esprit et cet espoir que nous abordons ci-après les principaux problèmes :

1. Le regard hostile, l'esprit de Croisées et la violence

Les frictions, tensions et conflits continus tout au long des siècles ont constamment jeté leur ombre sur cette relation. Les interprétations religieuses et intérêts nationaux expansionnistes et racistes qui lui sont associés ont tôt fait naître l'hostilité et le doute des uns et des autres, mêlés à beaucoup de mystification et d'incompréhension exaspérées face aux différentes situations. C'est ainsi que l'Occident devint le point focal de l'hostilité des musulmans tout autant que s'implantait chez les occidentaux l'esprit de Croisées à l'endroit des musulmans.

Les déclarations faites par les deux parties, au plus haut niveau, attestent de ce phénomène, et la tendance va en s'amplifiant après les récents événements. Le rythme de la campagne hostile aux musulmans en Occident, par exemple, s'est multiplié de 16 fois selon les déclarations du FBI. Du côté islamique, tout ce qui est occidental est devenu odieux, suscitant des velléités d'anéantissement par tous les moyens, quand bien même ces moyens sont récusés tant par l'Islam que par le monde entier. Les explosions de l'Ile de Bali, en Indonésie, en sont la frappante illustration. Et c'est dans cet esprit d'hostilité que s'inscrivent le terrorisme et la violence, car ces actes sont liés à cet esprit d'hostilité : c'est un feu qui continuera à s'embraser et consumer ce qui l'entoure tant qu'il n'a pas été maîtrisé.

Et si, d'une part, on trouve en Occident ceux qui pleurent encore les événements du 11 septembre, de l'autre, il y a les musulmans qui souffrent de leurs blessures en Palestine, en Afghanistan et ailleurs.

L'Occident s'érige dans cette affaire à la fois comme demandeur, juge et bourreau, tout en admettant son incapacité à définir le terrorisme et à séparer entre ses différentes causes et les droits légitimes de résistance, à la fois sur le plan religieux que mondial. Mais il n'hésite pas, par contre, à appliquer la thèse dichotomique absurde suivante : **«Ou vous êtes avec nous ou vous êtes contre**

nous». C'est tout comme les communistes radicaux d'antan où il fallait se décider à être communiste et à comprendre le communisme, autrement on ferme la porte de la recherche pour ouvrir celle de la violence.

2. La liberté naturelle et sociale

L'on peut supposer que l'Occident met l'accent sur la question de liberté accordée à l'individu par la société, accusant l'Islam d'être une entrave à cette liberté. La vérité, cependant, est que l'Occident a, de tout temps, accuser l'Islam de rejeter la liberté naturelle (celle que l'être humain possède comme droit naturel), l'accusant d'être un fataliste parce qu'il croit en la fatalité et au destin.

Je croyais à l'origine qu'il s'agissait d'un malentendu de la part de certains occidentaux, jusqu'à ma lecture de ce que le Dr Mohamad Hassanin Haykal avait rapporté sur l'écrivain américain Washington Irving qui écrivit un ouvrage sur le Noble Prophète intitulé «la vie de Mohammad». Irving avait expliqué à la fin de son ouvrage les principes islamiques de base, notamment la règle de coercition. Feu Dr Haykal lui répondit de façon très pertinente. Mais Will Durant vint réaffirmer ce malentendu, faisant de cette règle l'un des aspects manifestes de la pensée islamique[8]. Bidham Bryan, l'un des écrivains anglais de l'époque contemporaine, écrit lui aussi sur la civilisation islamique l'accusant de coercitive[9].

Mais il suffit de se reporter au Saint Coran et au principe du choix humain pour rendre superflu toute réponse à cette thèse : **«Nous l'avons guidé dans le chemin, - qu'il soit reconnaissant ou ingrat»**[10]. Mais il reste à ôter le doute de l'esprit occidental, y compris les gens éduqués, sinon il laissera son empreinte, tant au plan analytique que social.

L'Occident continue, en attendant, d'accuser l'Islam d'être une entrave aux libertés sociales, et l'Islam d'accuser l'Occident d'accorder de vastes libertés à l'individu, lequel les transforme en libertés bestiales destructrices. Il faut donc que les deux parties s'appliquent à déterminer conjointement les espaces communs, ce qui est du domaine du possible.

3. La relation entre la paix et la justice

L'appel au dialogue entre les religions était fondé sur des bases saines et logiques et il n'a pas manqué de laisser un écho favorable sur le plan de la compréhension de l'autre et de la diminution des champs de collision. Il a permis

(8) Histoire de la civilisation, Vol. 13, p. 5.
(9) Série d'articles dans the Economist, Londres, 1994.
(10) Al-Insân (L'être humain) : 3.

également de promouvoir la coopération en faveur des questions humaines et religieuses et des valeurs morales. Nous espérons que ce dialogue évoluera et passera de la phase d'entente entre les spécialistes à celle qui en fera une question d'ordre culturel général bénéficiant de l'acquiescement des peuples, et où les différentes questions civilisationnelles seront abordées loin de toute surenchère et de suspicion.

Il est impératif, dans tout dialogue, de procéder à partir de convictions préalablement agréées qui feront office de phares pour démêler les ambiguïtés et les divergences et paver la voie au processus de dialogue.

Nous estimons, à cet égard, que la foi en les dispositions naturelles de l'individu s'inscrit justement parmi les convictions communes à toutes les religions célestes.

L'on entend par "disposition naturelle" ce qui suit :

L'être humain est une création divine que Dieu, dans Sa sagesse infinie, en a fait le récipiendaire authentique d'un ensemble d'aptitudes, de capacités cérébrales, d'inclinations et d'instincts qui lui assure une évolution naturelle vers la perfection.

Les religions sont venues pour inciter les cerveaux à la réflexion (comme l'exprime l'Imam Ali) et instaurer les conditions propices à l'émergence des énergies cachées qui feront de lui un être humain, dont le comportement est différent en tous points des autres créatures, bien qu'elles partagent avec lui ces mêmes énergies.

Il est unique en ce sens qu'il possède la prédisposition à acquérir les connaissances, à se connaître, à explorer l'univers et à découvrir la réalité, la philosophie de l'existence et la relation entre les différentes choses. C'est cette prédisposition qui lui permet aussi de reconnaître le principe de la causalité et celui de la contradiction (l'addition des contraires et la conciliation des contraires), ainsi que d'autres questions. Ces éléments sont implantés dans la conviction et la conscience humaine et ne nécessitent nulle preuve, autrement c'est l'impasse, car c'est d'elles justement que découle la preuve. Quant aux capacités cérébrales, elles se traduisent par la propension de l'âme humaine à la méditation, la réflexion et l'analyse des choses, passant du niveau parcellaire à celui de l'intégralité, de l'évaluation des choses à celui de la conception d'images nouvelles et de clichés virtuels inexistants dans le monde réel. Cette capacité cérébrale est spécifique à l'être humain. Elle est le mystère qui entoure son processus évolutif, ses dimensions et son développement.

Quant aux penchants instinctifs, ce sont eux qui le conduisent vers la perfection et le poussent à tirer profit de ses énergies latentes.

Citons, parmi ces penchants, sa tendance vers la perfection absolue, sa tentative de combler les failles de son existence, à se reposer sur cet Absolu Omnipotent, à s'acquitter de ses obligations envers Lui, à Le remercier de Ses bienfaits et Lui obéir. Ce sont des éléments que l'individu trouve implantés dans sa nature même, qui est commune à toute la race humaine en dépit de sa diversité et sa multiplicité, quand bien même certaines suspicions viennent parfois masquer ces penchants et les étouffent

Il est aussi l'égocentrisme et la propension à concrétiser ses ambitions. Celle-ci se classe parmi les penchants originels de l'individu, que l'on ne peut ni dépasser ni combattre, contrairement à ce que le marxisme pensait naguère, à savoir, qu'il était possible de l'oblitérer à travers la suppression de la propriété privée.

Citons aussi le sens de l'esthétique et l'émerveillement que suscite la beauté et la splendeur de notre univers.

Notre intention n'est pas de passer en revue tous les penchants et dispositions naturelles de l'être humain mais de mettre en exergue le postulat suivant : la conviction que **«la justice est toujours quelque chose de bien»** et que «il faut toujours faire ce qui est bien» s'inscrit parmi les convictions naturelles qui ne nécessitent aucune preuve. Si l'individu acquiert la conviction qu'une telle action est bonne, il en découle chez lui une certitude indubitable quant à son caractère absolu. Parmi les sujets à caractère absolu s'inscrit également la détermination de la conscience humaine à reconnaître que la question d'obédience au Gratifiant Véritable, Propriétaire Réel de l'univers et de l'être humain, est une question absolue qui n'admet aucune contestation. Il est aussi des sentiments qui ont été cultivés dans l'esprit humain comme critères relatifs aux principes de justice, d'honnêteté, de probité, de miséricorde, d'affection et de paix. Dans leur essence, ces éléments sont prévenants, mais ils peuvent subir des modifications et perdre de leur prévenance naturelle. Ce faisant, ils cessent d'être les manifestations de la justice pour revêtir les aspects de l'injustice et du despotisme.

Nous pouvons ainsi déduire que cette disposition humaine naturelle est régie par deux postulats. L'un, absolue, répond au sens de la justice et à l'obédience du Sage Créateur. L'autre, restreint et relatif, est induit par l'honnêteté et la paix.

L'honnêteté peut, à certains égards, résulter des conséquences de l'injustice. Il en est de même de la paix, qui est suscitée par la témérité procédant du caractère d'inviolabilité de l'être humain. Si la justice est une valeur absolue, la

paix est une valeur que nous nous efforçons de concrétiser, dans la mesure où elle prend un aspect de justice, ou que nous récusons si elle apparaît comme une injustice. Il reste, cependant, l'interrogation majeure suivante :

Quels sont les critères de justice ? et comment peut-on s'assurer de sa concrétisation ?

Les religions célestes mettent, toutes, l'accent sur les critères suivants :

Premièrement : Un critère dévotionnel qui nous permet de tirer profit de la science de l'Omniscient et Omnipotent, Dieu Tout-puissant. Il s'agit, en l'occurrence des enseignements immuables de la religion que l'on sait, avec certitude, qu'ils émanent de Dieu. Nous savons grâce à ce critère, que cette science procède invariablement et incontestablement d'Allah, de Sa miséricorde et Sa clémence envers l'être humain, Sa créature, ainsi que de Sa justice ; car Dieu, qui englobe tous les attributs de la perfection, ne veut pour l'être humain que le bien et ne le trompe jamais. Bien au contraire, Il lui dévoile tout ce qui est réel et ne lui veut que du bien.

Deuxièmement : Un critère spirituel où il suffit alors de revenir à la disposition naturelle elle-même.

Ce critère de conviction, quel qu'il soit, est intrinsèque à l'environnement humain. Ceci nous permet de découvrir d'autant plus la profondeur théorique de ce critère qu'il est inhérent aux êtres humains, abstraction faite de leurs circonstances individuelles et sociales, en tout temps et tout lieu. Pour mieux comprendre sa signification, il suffit de poser la question suivante à tout individu : "Pouvez-vous considérer le comportement d'un tel, qui tue par pure distraction, les orphelins et les vieillards comme étant un comportement humain ou bestial?" Or un tel comportement est, à l'évidence, un comportement bestial et le saint Coran invite l'être humain à la méditation consciente sur ses convictions naturelles. Il dit, à cet égard : **«Vous sont permises les bonnes nourritures»**(11) en laissant à l'être humain le soin de désigner les bonnes nourritures ; **«Mon seigneur n'a interdit que les turpitudes (les grands pêchés»**(12) en laissant à l'individu le soin de déterminer les turpitudes sachant que toute déviation comme une action immorale contraire à la nature ; et **«[Et ne soyez pas comme] ceux**

(11) Al-Maïda (la Table servie) ; 5.
(12) Al-A'arâf ; 33.

qui ont oublié Allah ; [Allah] leur a fait alors oublier leur propres personnes ; ceux-là sont les pervers»[13].

C'est ainsi que nous débouchons sur la vérité suivante :

Les religions croient en la disposition naturelle de l'être humain, et c'est cette disposition qui détermine si la justice et la paix sont des nécessités absolues, mais dans la mesure où ces deux facteurs constituent à la fois un critère et une manifestation de la justice. D'où le besoin de mettre en permanence l'accent sur le concept de "Paix juste".

La paix mondiale et la position à prendre à cet égard

Nous avons souligné précédemment que la sécurité s'inscrit parmi les besoins naturels de l'être humain. Celui-ci puise ses racines dans l'un des instincts clés de l'homme, à savoir, "l'égocentrisme", instinct qui fonctionne avec les autres instincts de façon harmonieuse en vue d'atteindre l'équilibre dans le processus d'avancement vers la réalisation symbiotique des objectifs suprêmes de l'être humain. En effet, il ne suffit pas d'avoir les motifs instinctifs pour assurer l'équilibre du processus, car il faut aussi assurer un environnement naturel à l'esprit humain, tant sur le plan subjectif que spécifique, afin que ces motifs puissent le conduire à la réalisation des objectifs escomptés.

Le Seigneur, dans Sa grâce infinie, a cultivé dans la nature humaine soucieuse de jouir d'un climat de sécurité, l'axiomatique d'une sagesse assortie d'un penchant pour la justice et une aversion pour l'injustice et l'agression. Plus encore, Il a donné aux êtres humains la capacité de déterminer bon nombre de critères permettant de discerner la justice de l'injustice, leur prodiguant le moyen de communiquer avec le Créateur pour Lui exprimer leur obédience afin que s'ouvrent à eux les horizons de la Révélation.

Nous devons donc nous entendre théoriquement sur cette relation, et ce, afin de parvenir à une entente sur ces critères.

4. Le caractère central de la civilisation

Il est normal que l'Islam se présente comme le point central de la civilisation humaine, ou son meilleur exemple, en ce sens qu'il constitue le dernière et ultime genre civilisationnel que le Créateur, dans Sa clémence, a

(13) Al-Hashr (l'Exode) ; 19.

offert à la Oumma islamique comme modèle et témoin aux gens : **«Et aussi Nous avons fait de vous une communauté de justes pour que vous soyez témoins aux gens, comme le Messager sera témoin à vous»**(14).

Or l'Occident, qui se considère le but et la finalité de l'Histoire, se présente comme le point civilisationnel central que les nations doivent adopter. Et bien que Fukuyama, le penseur américain d'origine japonaise, s'oppose à la théorie de choc des civilisations avancée par Samuel Huntington, il s'accorde avec lui quant à la conclusion, à savoir, le triomphe de la civilisation occidentale libérale sur toutes les autres civilisations. Bryan réaffirme cette théorie, comme indiqué précédemment, en invitant le monde islamique à brûler certaines étapes afin d'atteindre ce niveau. "Il estime que le monde islamique traverse dans le quinzième siècle de l'hégire le même processus que celui vécu par le monde occidental au XV° siècle de l'ère chrétienne avant d'atteindre le niveau auquel il est parvenu aujourd'hui".

D'autres politiciens et juristes occidentaux se sont fait l'écho de cette théorie, non sans une certaine arrogance et comparaisons inéquitables, même entre certaines réflexions islamo-chrétiennes.

A mon sens, laisser les choses telles quelles, en se livrant à des joutes comparatives ne mènera nulle part. Ce que nous devons faire, en réalité, c'est de décomposer chacune des civilisations en leurs éléments constitutifs originels, puis comparer ces éléments en s'appuyant sur nos obligations humaines réciproques et notre conscience mutuelle, dans l'espoir de déboucher sur des conclusions communes, sinon nous serons condamnés à demeurer dans un cercle vicieux.

5. L'universalisme et la mondialisation

Là aussi, nous devons permettre à chaque partie d'exposer son point de vue et convenir des principes généraux fondés sur la pluralité, la coopération et un ordre mondial commun servant la cause de l'ensemble de l'humanité, tout en évitant de gaspiller inutilement les énergies.

Il est, en vérité, trois systèmes concurrents, à savoir, l'Islam, le socialisme et le capitalisme. Tous trois possèdent des orientations mondiales. Je voudrais insister ici qu'il n'existe aucune différence sémantique entre mondialisation et universalisme. Nous avons déjà indiqué que l'Islam, en tant que dernier maillon de la série de religions célestes, est venu reformer l'humanité, car il incarne la

(14) Al-Baqara (la Vache) ; 143.

voie prescrite par le Créateur pour la délivrance de l'individu. Ce faisant, Il s'appuie sur les dispositions naturelles communes à l'ensemble de la race humaine et retient la logique du dialogue et de la persuasion. De même qu'Il se propose comme l'ultime recours pour la délivrance des êtres humains. Pour atteindre ses objectifs, cet Islam adopte le processus de changement individuel et collectif, d'élimination des frontières tant géographiques que raciste et linguistique, l'édification d'une société mondiale aux sentiments communs appliquant une seule et unique loi et poursuivant des buts humains similaires. Cette orientation mondiale apparaît dans de nombreux textes islamiques, notamment dans les paroles divines suivantes : **«Dis: "Ô hommes! Je suis pour vous tous le Messager d'Allah»**(15) et **«Peu s'en faut que ceux qui mécroient ne te transpercent par leurs regards, quand ils entendent le Coran, ils disent: "Il est certes fou!" Et ce n'est qu'un Rappel, adressé aux mondes!»**(16)

L'Islam, qui a pris dès le départ une orientation universelle, réaffirme cette tendance et poursuit cette voie, tout en mettant l'accent sur l'unicité de la logique, du processus et de l'objectif islamiques. Quant à la philosophie du socialisme, celle-ci s'est appuyée historiquement sur le côté matériel en faisant passer l'humanité, à travers quelques lois dont le conflit antisocialiste, d'abord de l'esclavage au féodalisme, puis au capitalisme commercial et au capitalisme industriel, avant d'atteindre l'étape socialiste puis celle du communisme. C'est ainsi que le socialisme a acquis sa perspective mondiale sur la transformation du monde. Il est clair que le socialisme s'est reposé, pour y aboutir, sur les conflits des classes, la révolution et le régime socialiste despotique qui devait conduire la société au paradis, tel qu'il est imaginé par les socialistes, c'est-à-dire le communisme(17). Mais cette vision n'a pas tardé à se désintégrer, n'ayant pas réussi à se réaffirmer, tant sur le plan théorique que pratique.

S'agissant du capitalisme, celui-ci s'est amorcé depuis le début sans une quelconque base idéologique. En effet, il s'intéressait surtout à l'organisation de la vie, fondée sur le principe de la liberté capitaliste individuelle. Mais confronté aux idées antinomiques, il se mit à emprunter au socialisme ses slogans, qu'il substituait par des slogans opposés. C'est ainsi que la justice sociale devint les

(15) Al-A'raf ; 158.

(16) Al-Qalam ; 51/52.

(17) Pour plus d'informations, voir le martyr Mohammad Baqir Al-Sadr dans son ouvrage "Iqtissaduna" (notre économie), pp. 53-238.

droits de l'homme, et que le développement économique s'est transformé en marché libre et promotion de la production. La mondialisation capitaliste, procédant des slogans nationaux prolétaires, a démarré localement puisqu'elle n'était axée que sur l'Occident. Ce n'est que lorsque les conjonctures devinrent propices que la mondialisation s'imposa de façon mondiale.

6. La mondialisation sociale et les problèmes de population et de développement

De l'approche sociale occidentale qui a gouverné le processus d'élaboration des déclarations sociales internationales, dont les déclarations respectives du Caire, de Copenhague et de Pékin, nous pouvons conclure qu'il existe des principes régissant cette approche, en particulier les éléments suivants :

i. La théorie de Malthus selon laquelle les moyennes de développement humains sont plus rapides que les moyennes de développement des ressources naturelles ;

ii. Il est nécessaire d'éliminer les barrières freinant la libre satisfaction des instincts sexuels, ces barrières étant contraires aux droits de l'homme et sont susceptibles d'entraîner l'inhibition psychique et la rébellion ;

iii. Ne pas croire dans les soi-disant valeurs humaines ou morales sociales - ces valeurs étant rédhibitoires à l'adhésion de la société mondiale à la culture occidentale- d'où la nécessité de les supprimer socialement afin que les peuples s'ouvrent au processus d'invasion culturelle ; il s'agit d'imposer les clichés occidentaux non seulement à l'esprit mais aussi aux règles sociales subsidiaires, qui constituent une passerelle légale à travers laquelle s'effectue l'infiltration dans l'esprit des gens des principes des droits de l'homme. En effet, l'Occident se propose comme le dépositaire des droits de l'homme, ce qui rend cette étape la plus dangereuse dans le processus d'invasion ;

iv. L'esprit laïc avec lequel l'Occident défie l'autorité de l'église et s'y soustrait en faveur du matérialisme pour édifier une nouvelle civilisation alliant cette démarche au progrès scientifique et considérant sa ligne de conduite comme étant celle que doit retenir le reste du monde.

C'est ainsi que l'Occident est devenu sensibilisé à tout ce qui est de nature religieuse ou qui se rapporte à la religion. C'est à partir de ces postulats que cet effroyable plan a été conçu, incorporant les éléments suivants :

a. Appuyer l'affranchissement total des sujétions religieuses, en particulier dans le domaine familial et social ;

b. Réduire la croissance démographique par tous les moyens, y compris l'avortement ;

c. Imposer les concepts occidentaux de droits de l'homme sur les plans intellectuel, pratique et juridique ;

d. Insister sur l'idée de mondialisation sociale et d'ingérence des Nations unies dans les cultures des peuples et leurs structures sociales. Il convient de noter que l'Islam ne reconnaît aucun de ces principes, d'autant que le saint Coran met l'accent sur le fait que Dieu a doté la nature de tout ce dont l'homme a besoin.

En vérité, c'est par son iniquité dans la distribution équitable des ressources naturelles que l'homme a engendré le problème, ainsi que l'atteste la parole divine suivante : **« Il vous a accordé de tout ce que vous Lui avez demandé. Et si vous comptiez les bienfaits d'Allah, vous ne sauriez les dénombrer. L'homme est vraiment très injuste, très ingrat»**(18).

Les instincts, qui sont de nature aveugle, ont été conçus avec l'individu pour lui permettre d'atteindre ses objectifs, et ce, dans la mesure où ils sont rationnellement guidés selon un plan législatif réaliste. Si on leur lâche la bride, ils se transformeront en un ouragan qui ne tardera pas à balayer la conscience humaine. La croyance en les valeurs morales procède de la foi en Dieu, Créateur des dispositions naturelles de l'être humain et de sa conscience, et toute action allant à l'encontre de cet axiome ne fera que ramener l'humanité au rang des animaux : **«Ceux-là sont comme les bestiaux, même plus égarés encore»**(19).

En définitive, l'Islam est la religion de la société interdépendante et sans laquelle la vie ne peut s'organiser. Le laïcisme est donc catégoriquement rejeté et, par conséquent, toutes les conclusions adoptées par ceux-là sont également rejetées.

Il est cependant un important point qu'il faut souligner, à savoir qu'il existe des substituts licites qui s'imposent et qu'il convient de prendre en considération, car il ne sont pas tous négatifs. La question de la planification familiale, par exemple, a été retenue par l'Islam, qui l'a autorisée, voire ordonnée, en fonction des circonstances sociales. En effet, si des externes à l'Etat islamique perturbent la croissance démographique d'une région et désorientent sa planification, le

(18) Ibrahim ; 34.

(19) Al- A'arâf; 179.

responsable de la famille sera en droit de prendre une décision qui soit compatible avec l'intérêt social. Ici, il appartient au père et à la mère de prendre librement les mesures qu'impose la planification. Mais cette action doit suivre les procédés légaux. Or l'avortement ne s'inscrit guère dans cette perspective, étant strictement interdit, sauf dans les rares cas où la vie de la mère est en danger, ou si le fœtus est atteint d'une maladie létale ou incurable.

Les droits de l'homme, au sens vrai, sont garantis par l'Islam à tous les êtres humains et dans un cadre réaliste et sain.

Quant à la mondialisation, elle revêt une signification spéciale en Islam. L'évaluation de la mondialisation selon l'Islam s'effectue, en effet, sur la base des dispositions humaines naturelles. Elle est commune à tous les individus. De même qu'elle est immarcescible, quand bien même son incidence peut tantôt s'affaiblir, tantôt se renforcer.

En tout état de cause, cette question doit être traitée avec prudence et objectivité, sinon nous nous retrouverons submergés par ses aspects négatifs.

Quant à la problématique de l'enseignement (pour les deux sexes), il est essentiel de noter que l'Islam n'accepte aucune réserve en la matière, car l'Islam est la religion de la science. Il préconise l'apprentissage de l'homme à toutes les étapes de la vie. Nous n'avons donc pas de problème à enseigner à l'être humain ses droits individuels et sociaux et à lui dévoiler les vérités.

Le vrai problème réside dans l'exploitation de l'enseignement et des méthodes didactiques à des fins inhumaines. C'est justement à ce type d'exploitation que l'Islam s'oppose.

L'éducation sexuelle s'inscrit, en effet, dans les choses naturelles ; elle permet non seulement de prévenir l'impact négatif de l'ignorance mais aussi de planifier judicieusement l'avenir afin d'atteindre le but prescrit par le Créateur, à savoir, la pérennité de l'existence de la race humaine. Car celle-ci doit assurer tout autant le peuplement de la terre, l'édification saine de la société et l'organisation des relations sociales que de satisfaire ses besoins sexuels naturels et jouir de la vie.

Tous ces éléments s'inscrivent dans le cadre du naturel. Il était donc naturel que l'Islam le recommande. Mais c'est dans l'exploitation de ce processus que réside le danger, en ce sens qu'il touche un aspect délicat de la vie humaine, en particulier la jeunesse. D'où la nécessité de prendre de précaution contre cette exploitation. Rappelons que la délégation iranienne ne cesse, à tous les forums, d'insister sur la nécessité que l'enseignement en la matière commence à un âge

approprié, sous la supervision des parents, et ce, afin d'éviter les conséquences négatives, fussent-elles individuelles ou collectives, sexuelles ou spirituelles. Il faut donc élaborer un plan circonspect permettant d'inculquer à nos enfants, garçons et filles, les informations qui leur sont nécessaires dans ce domaine, notamment sur les questions portant sur la propreté, le mariage, les sanctions, etc.

Mais la dissimulation des mystères afférents à cette question sous prétexte de pudeur (ce qui est en définitive naturel) ne doit pas constituer un frein à leur familiarisation avec les informations nécessaires en la matière, autrement nous risquons de les exposer aux dangers qu'elles comportent.

S'agissant de l'avortement, il est des pays qui l'autorisent dans leurs législations. Il existe, en revanche, un autre courant mené par l'église qui le prohibe totalement, ainsi que tout processus de contrôle des naissances ou de planification familiale, notamment les contraceptifs, sauf dans les cas de rapprochement sexuel planifié pendant les jours où s'opère la fécondation séminale.

D'un autre côté, il y a le courant islamique médian qui s'oppose à l'avortement dès l'instant de la fécondation séminale. L'Islam autorise en effet toute action visant à empêcher la fécondation, tel que l'interruption du coït que le Prophète a autorisé à ses Compagnons. Il n'interdit pas non plus l'avortement si la vie de la mère est en danger ou si le fœtus est infecté par une maladie incurable.

En tout état de cause, cette action ne doit pas être recommandée et ne constitue, en aucun cas, un moyen de contrôle des naissances.

Mais si la loi autorise cette démarche, il convient qu'elle soit exécutée selon des méthodes sûres et saines.

En outre, l'Islam interdit catégoriquement à la mère qui ne désire pas d'enfants, ou pour des raisons économiques ou sociales, de pratiquer son propre avortement.

Le fœtus, abstraction faite des causes de sa formation (même illicites) est un être humain respectable qui a droit à la vie. Non seulement il ne faut pas que cette vie soit agressée, mais elle doit bénéficier de toutes les conditions nécessaires à sa pleine formation ainsi qu'à son accouchement.

Il reste, cependant, les deux problématiques suivantes :

1. La problématique de la jeunesse : La jeunesse doit affronter bon nombre de problèmes, en raison même de sa vitalité, de sa nature changeante et des comportements qu'il doit tantôt relâcher tantôt juguler, selon son humeur ou les exigences de la société, tels que les problèmes sexuels ou matrimoniaux, ainsi

que sa tendance à s'affranchir de toutes les sujétions, à se rebeller contre les traditions, à chercher des réponses à ses multiples interrogations, préoccupations et tourments de la personnalité, et son oscillation entre l'enfance, la maturité et les problèmes de l'enseignement.

Comme indiqué plus haut, cette situation exige une réaction rationnelle de notre part, à travers des études sur le terrain, des rencontres libres et amicales, en œuvrant à combler le vide juvénile par tous les moyens positifs, en l'éloignant de la violence, de la dissolution et de la rébellion, en lui fournissant des opportunités objectives qui lui éviteraient l'introversion, et en lui inculquant les manières vertueuses avec sagesse et par la bonne parole.

2. La problématique de la femme : La femme a également ses problèmes spécifiques, notamment sur le plan social, tels que les problèmes matrimoniaux et sa position d'infériorité face aux violences engendrées par la guerre, l'exil ou les traditions iniques, ou les problèmes qu'elle doit affronter dans l'arène sociale administrative, économique, politique ou de l'enseignement. Il convient donc de répertorier ces problèmes et leur trouver les solutions appropriées en s'inspirant des solutions islamiques originelles, loin de tout radicalisme susceptible de dépouiller la femme de ses droits humains islamiques et l'empêcher de contribuer au processus d'édification sociale élargie, voire au processus civilisationnel humain, à l'instar de ces femmes qui ont laissé leur empreinte dans l'Histoire.

La femme constitue, en vérité, une réserve énergétique que nous ne devons pas dénigrer et la regarder fondre, mais la capitaliser pour le bien-être de l'humanité.

7. La démocratie

Le libéralisme occidental accorde au peuple tous les pouvoirs. C'est au peuple que revient la responsabilité de la codification des lois et de la désignation des dirigeants.

Très souvent, cependant, la démocratie occidentale se transforme en une chimère dès lors que s'emmêlent l'argent, la fraude et les alliances d'intérêt.

L'Islam considère, quant à lui, que la religion a le droit d'intervenir dans la codification des lois et la désignation des dirigeants parce qu'elle procède justement du Créateur Lui-même. Aussi, en vertu de ce postulat, l'Islam a entrepris les fonctions suivantes :

i. Procéder au traitement de l'aspect continu des besoins humains à travers des principes qui, bien qu'ils soient immuables, sont susceptibles de

modification dans le mode de mise en œuvre selon le temps, le lieu et l'effort d'interprétation en fonction des méthodes d'application de la solidarité et de l'équilibre social dans les différentes communautés islamiques ;

ii. Permettre au dirigeant islamique de consulter avec la nation pour la réalisation de ses intérêts mouvants et la satisfaction de ses besoins de la meilleure façon dans la limite de ce qu'autorise la loi ;

iii. Fixer les conditions nécessaires à l'élection des cadres supérieurs, à tous les niveaux, et ce, de telle sorte que nous pouvons prétendre que le gouvernement est islamique et qu'il représente la volonté du peuple dans le contexte religieux.

Il existe, ainsi, beaucoup de points communs comparables, dans une certaine mesure, à la démocratie occidentale.

8. Le laïcisme

Cette idée a émergé en Occident à la faveur des luttes entre les partisans et les adversaires de l'émancipation de l'influence de l'église et qui ont abouti à un divorce quasi-total entre l'église et la vie sociale et, partant, entre la religion et la vie.

Cependant, la nature de l'Islam, ses enseignements, sa planification du type de gouvernance, associés à ses applications scientifiques, vont à l'encontre de cette notion de divorce. Aussi n'y a-t-il pas sur ce point une quelconque possibilité d'entente.

9. Les droits de l'homme

Sur ce plan, il n'y a pas beaucoup de divergence tant au niveau du concept que du type de contraintes nécessaires au contrôle de ces droits, au sens rationnel du terme. Les divergences portent sur d'autres questions telle que "la racine originelle des droits". Il s'agit donc de savoir si c'est l'homme qui les décide, les élabore, en fixe les critères selon les résultats des études entreprises dans ce sens ? Ou est-ce Dieu, le Créateur de cet être humain, qui en fait le dépositaire, et qui fixe à ces droits des limites qui assureront que l'être humain en tire le meilleur profit afin qu'il réalise son plein essor, tant sur le plan individuel que social, tout en veillant à ce qu'ils ne perturbent pas l'équilibre requis ? Il s'agit donc de savoir, sur cette question, lequel de nous a raison, lequel a tort.

A notre sens, nous estimons que la foi, dans le contexte des dispositions naturelles de l'individu, est nécessaire à la croyance en les droits de l'homme. Car cet homme, pour lequel ces droits sont conçus, est celui justement qui possède,

de par sa nature, des dispositions naturelles nées avec lui et qu'il conservera aussi longtemps qu'il demeurera un être humain. Car s'il se transformait en une bête, il perdrait ces droits : **«Et ne soyez pas comme ceux qui ont oublié Allah; (Allah) leur a fait alors oublier leurs propres personnes; ceux-là sont les pervers»**[20]. En vérité, si on refusait de croire en ces dispositions naturelles, nous perdrions le critère permettant d'identifier les droits. Il est possible, d'ailleurs, que ceux qui ont élaboré la Déclaration mondiale des droits de l'homme se fondaient inconsciemment, ou secrètement, sur ce principe lorsqu'ils ont souligné au début de la Déclaration la nécessité d'appréhender l'inclination innée de l'être humain en matière de réalisation de la liberté, de la justice et de la paix.

D'où cette considérable divergence entre l'Occident et l'Islam sur les critères régissant ces droits. Nonobstant, il existe une multitude d'éléments sur lesquels nous pouvons nous entendre ; il suffit de comparer, à cet égard, la Déclaration mondiale et la Déclaration islamique des droits de l'homme pour s'en convaincre[21].

10. Le soutien au mouvement sioniste

L'hostilité entre le mouvement sioniste et la Oumma islamique ne cesse de se creuser en raison, d'une part de la nature raciale du sionisme et, d'autre part, de l'enracinement de la velléité du crime dans l'esprit des sionistes. Près d'un siècle s'est écoulé regorgeant d'agressions sur les droits des musulmans ; agressions de l'ennemi sioniste qui ont fait frémir d'horreur l'humanité tout entière et qui sont internationalement reconnues et sanctionnées par les dizaines, voire les centaines de résolutions des Nations unies.

Or, paradoxalement, l'Occident avec les USA à sa tête, s'érige aujourd'hui en défenseur d'Israël, lui apportant toutes sortes de soutien, allant même au-devant des propres slogans de ce dernier sur la protection des droits de l'homme en le considérant comme le régime démocratique le plus avancé du Tiers monde.

En adoptant cette logique de deux poids deux mesures, l'Occident se met en porte à faux sur la question de défense des droits de l'homme et suscite l'animosité du monde islamique, voire de tout individu soucieux de son humanisme.

Maintes tentatives ont été entreprises pour aboutir à une quelconque entente commune, mais elles ont été toutes vouées à l'échec devant la nature raciste et agressive sioniste. Aussi sur ce plan n'y a-t-il aucune possibilité de négociation.

(20) Al-Hachr (l'Exode) ; 19.

(21) Voir notre ouvrage "Sur la constitution islamique", p. 157.